Alienation in the Writings of Edward Said and Abdul Karim Kasid

Lecturer Dr. Makarim Hassan Abdulsayed
University of Basrah / College of Education for Women
E-mail: makarim.abdulsayed@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This study examines the concept of **alienation** through a comparative exploration of the thought of Edward Said and Abdul Karim Kasid, investigating how each portrays the condition of the **human being in exile**. It focuses on the tension between the loss of place and the creation of an alternative space, as well as on the extent to which cultural and linguistic dimensions shape each writer's conception of exile. The study also discusses the tension between individual and collective identity in their writings and examines how exile is transformed from a merely spatial experience into an intellectual and linguistic condition that reshapes both the self and the world.

Keywords: Alienation, Edward Said, Abdul Karim Kasid, Identity, Language, Exile Literature.

الاغتراب في نصوص المفكر ادورد سعيد والكاتب عبد الكريم كاصد

المدرس الدكتور مكارم حسن عبدالسيد
جامعة البصرة / كلية التربية للبنات
E-mail: makarim.abdulsayed@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يتناولُ البحثَ مفهومَ "الاغتراب" من خلالِ دراسةٍ بينَ فكرِ إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد حيثُ يستكشفُ كيفيةَ تصويرهما لحالةِ "الإنسانِ في المنفى"، ويركزُ البحثُ على تحليلِ التَّوترِ بينَ فقدانِ المكانِ وإعادةِ خلقِ فضاءٍ بديلٍ ومدى تأثيرِ البُعدِ الثَّقافي واللغوي في تشكيلِ رؤيةِ كلٍّ منهما للمنفى، كما يناقشُ البحثُ التَّناقضَ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ في كتاباتِهما وكيفيةِ تحولِ المنفى من مجردِ تجربةٍ مكانيةٍ إلى حالةٍ فكريةٍ ولغوية تُعيدُ تشكيلَ الذَّاتِ والعالم.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب ، إدوارد سعيد، عبد الكريم كاصد ، الهوية ، اللغة ، أدب المنفى.

أولاً: المقدمة:

يُعدُّ المنفى تجربةً إنسانيةً عميقةً تمتدُّ عبرَ التّاريخ حيثُ يجدُ الإنسانُ نفسَهُ مُجبراً على مغادرة وطنه، إمَّا بسببِ الاضطهادِ السّياسي أو الحروبِ أو البحثِ عن فرصٍ جديدة، وقد شكَّلَ هذا المفهومُ مصدرَ إلهامٍ للعديدِ من الأدباءِ والمفكرين الذين عايشُوا تجربةَ النَّفي أو الانفصالِ عن المكانِ الأصلي، وفي هذا السّياقِ ظهرَ مفهومُ "الاغتراب " كتعبيرٍ عن الشُّعورِ بالمنفى و اللاإنتماء سواء أكانَ جغرافياً أو ثقافياً، وعادةً يرتبطُ المكانُ بحريةِ الإنسانِ، ويمكنُ القولُ أنَّ "العلاقةَ بينَ الإنسانِ والمكانِ تظهرُ بوصفها علاقةً جدليةً بينَ المكان والحرية"[١]، وبرزَ اهتمامُ الأدباءِ في العصرِ الحديثِ بظاهرةِ الاغتراب وهذا يعودُ إلى مدى تعاطي الأدباءِ مع هذا الموضوع حيثُ وظّفوه وفقَ ميولهم وأهوائِهم لاسيما عندَ معالجتِهم الواقعَ الاجتماعي والأوضاعَ السّياسية والنَّواحي النَّفسية التي تبدو فيها نواياهم وتوجهاتهم نحوَ الحياةِ بصفةٍ عامةٍ والمكانِ بصفةٍ خاصة.

مفهوم الاغتراب في الفكر والأدب

يظلُ مفهومُ "الاغتراب" و"الخارج عن المكان" موضوعين أساسيين في الأدبِ والفكر لأنَّهما يعكسان تجاربَ إنسانية معقَّدة من الحنينِ والبحثِ عن الذَّات وإعادةِ تعريف الهوية، وسواءٌ أكانَ المنفى جسدياً أم نفسياً فإنَّ تأثيرَهُ العميقَ يظلُّ حاضراً في الإبداعِ الأدبي والفكري مما يجعلُ هذه القضيةَ دائماً ذاتَ صلةٍ بالسّياقاتِ الثَّقافيةِ والسّياسيةِ المعاصرة.

والمنفى ليسَ مجردَ انتقالٍ جسدي من مكانٍ إلى آخرَ بلْ هو حالةٌ وجدانيةٌ ونفسيَّةٌ تعكسُ الانفصالَ عن الجذورِ والانتماءِ، "في الفكرِ الفلسفي نَظرَ إليه بعضُ المفكرينَ على أنَّهُ حالةٌ إبداعيةٌ تُنتِجُ رؤيةً نقديّةً تجاه الهُويةِ والثَّقافةِ[٢]، أمَّا في الأدبِ فقدْ أصبحَ الاغتراب موضوعاً رئيساً في أعمالِ العديدِ من الكتَّابِ حيثُ يعكسُ مشاعرَ الحنينِ للوطنِ والشُّعورِ بالغربةِ والبحثِ عن الذَّات، في المعجمِ الوسيطِ يُفسّر المنفى بأنّهُ "مكانُ النَّفي، يقال نَفَى الشيءَ نفياً نحاهُ وأبعدَهُ ، ونَفَى الحاكمُ فُلاناً أخرجَهُ من بلدِهِ وطردَهُ، وعقوبةُ النَّفي هي عقوبةٌ بإبعادِ شخصٍ خارجَ حدودِ بلادِهِ لفترةٍ محدودةٍ أو غيرَ محدودة"[٣]، ويرى أشكورفيت[٤] أنَّ مفهومَ "الاغتراب" يُقابلُ "فكرة الانفصال أو الابتعادِ عن الوطنِ أو عن الأصلِ الثّقافي أو العرقي"[٥] أي هو خروجٌ عن المكانِ الذي وُلِدَ فيه الإنسان، وفي بعضِ الأحيانِ يختارُ الأديبُ الاغتراب بحثاً عن الحريةِ أو الهروبِ من القمعِ لكن هذا الخيار لا يقلُّ صعوبةً عن النَّفي القسري حيثُ يظلُّ الشّعورُ بالاغترابِ قائماً، ويبقى الأديبُ مرتبطاً بوطنِه الأصلي من خلالِ الذِّكريات والحنين، مما يؤدي إلى إحساسٍ دائمٍ بالانفصال والبحثِ عن الهوية، ويرى إدوارد سعيد[٦]. أنّ مفهومَ المنفى "يقترنُ بقسوةِ بشرٍ على آخرين لإبعادِهم عن موطنِهم ومعاقبتهم على الصَّدعِ بمواقِفهم وآرائِهم"[٧]، بينما الشاعر محمود درويش[٨]. يرى أنَّ المنفى ليس مجردَ مكانٍ بعيدٍ عن الوطنِ، بل هو تجربةٌ وجوديةٌ تعكسُ الانفصالَ عن كلِّ ما هوَ مألوفٌ والوطنُ عندَهُ

هو "البيتُ وشجرةُ التُّوتِ وقنُّ الدَّجاجِ وقفيرُ النَّحلِ ورائِحةُ الخبزِ والسَّماءُ الأولى"[٩]، ومن الظَّواهرِ التي برزَتْ والتي تستحقُّ الاهتمامَ ظاهرةُ "أدباءِ المنفى" وهم "أصحابُ الهُويّتَين والوطنَين إذ يكتبونَ من الوطنِ الآمنِ عن ذاكَ الآخرِ ما يُسبِغُ معنىً جديداً على الهُويّةِ والانتماء"[١٠] إذ إنّ الانتماءَ إلى الوطنِ يَصيرُ مُلحّاً إذا ما وُضِعَ بمحاذاةِ إمكانيّةِ فقدانِ المأوى.

أمَّا مفهومُ "الاغتراب" فهو يرتبطُ بفكرةِ أنَّ الإنسانَ قدْ يكونُ حاضراً جسدياً في مكانٍ ما لكنَّهُ مُنفصلٌ عنه نفسياً وثقافياً، و"المغترب عن المكانِ" هو نتاجٌ لهذا الصِّراعِ بينَ عالمين متناقضين نتجَ عنه ذاتٌ مغتربةٌ ومنفية"[١١]ويرى ميشيل فوكو* أنَّ "الاغتراب" يمكنُ أنْ يكونَ موقفاً نقدياً حيثُ يسمحُ للإنسانِ برؤيةِ المجتمعِ من منظورٍ خارجي، وفي الأدبِ نجدُ هذا المفهومَ في العديدِ من الرِّواياتِ والشِّعرِ حيثُ يُعبِّر الكُتَّابُ عن شخصياتٍ تجدُ نفسها غيرَ قادرةٍ على التَّكيفِ مع بيئتها الجديدةِ، ومن الملاحظ "أنَّ معاناةَ المبدعِ في واقعِه الأصلي هي التي تحملهُ علي الانعتاقِ من ذلك الواقع واستشراف واقع جديد"[١٢]، وعلى الرُّغمِ من أنَّ المنفى يُشيرُ عادةً إلى النفي الجغرافي فإنَّ "الاغتراب" يعكسُ نفياً داخلياً حيثُ يشعرُ الإنسانُ بالغربةِ حتّى وهو في وطنِه، ويشتركُ المفهومانِ في تعبيرِهما عن أزمةِ الهويةِ والشُّعورِ باللاانتماءِ، كما يظهران في الأعمالِ الأدبيةِ التي تتناولُ تجربةَ الشتاتِ والاغتراب.

أهميّة هذه الدّراسة:

تبرزُ أهميّةُ دراسةِ "الاغتراب" من خلالِ المقارنةِ بينَ إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد[*] لفهمِ كيفيةِ تشكّل هُوية المنفي في نصوصِهما، ويُعتبر سعيد نموذجاً للفكرِ النَّقدي حولَ المنفى الثّقافي حيثُ يرى أنَّ المنفى ليسَ مجردَ فقدانٍ جغرافي بلْ تجربة تُعيدُ تشكيلَ الهُويةِ من خلالِ منظورٍ نقدي وثقافي واسع، ويطرح مفهومَ المنفى كحالةٍ فكريةٍ تُعيدُ تشكيلَ وعي الإنسانِ بهُويتِه وثقافتِه الأصليةِ حيثُ يصبحُ المنفي ناقداً احياناً لماضيه وحاضره، أمَّا عبد الكريم كاصد فيوظِّفُ المنفى كشعورٍ وجداني في نصوصِهِ الشِّعرية

---

* عبدالكريم كاصد: أديب وشاعر عراقي قدير، وُلد في البصرةِ عام ١٩٤٦، حصلَ على ليسانس في الفلسفةِ من جامعةِ دمشقَ سنة ١٩٦٧، وعلى الماجستير في الترجمة من جامعةِ ويست منستر (**University of Westminster**) في لندن سنة ١٩٩٣، والبكالوريوس في الأدبِ الإنجليزي من جامعة نورث لندن (**North of London**) سنة ١٩٩٥م، عَمِلَ مدرساً لعلمِ النَّفسِ و اللغةِ العربيةِ في العراق والجزائر، وفي سنة ١٩٧٨ غادرَ العراقَ إلى الكويت ثُمَّ إلى عدن حيثُ عَمِلَ محرّراً في مجلة الثّقافة اليمنيةِ، وفي نهاية ١٩٨٠ رحلَ إلى سوريةَ ثُمَّ إلى لندن أواخرَ ١٩٩٠ تُرجِمَ شعرُه إلى اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة وأُدرجَ اسمهُ وأعمالُه الأدبية في (معجمِ الكتّاب المعاصرين) و(معجمِ البابطين) وأُقيمَ باسمِه مهرجانُ المربدِ لسنة ٢٠٠٦ ، أثرى المكتبةَ العربيَّةَ بالعديدِ من الأعمالِ الشّعريّة والنّثريّة المتميّزة منها: ديوان "النقر على أبواب الطفولة" وديوانُ "الفصول ليسَتْ أربعة"، "منفىً ومَهاجر" ، وديوانُ "البصرة على مرمى حجر"، و"الأهوار الجنَّة الضّائِعة" ...، جُمِعَتْ أعمالُه الشّعريّة الكاملة في أربعة مجاميعَ شعريّة ٢٠١٩ ، ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٣ ، ٢٠٢٤.

حيثُ يُعبّرُ عن الإحساسِ بالغربةِ والانفصالِ عن الوطنِ من خلالِ صورٍ شعريةٍ قويَّةٍ ويُقدّم تجربةَ المنفى بوصفها انقطاعاً عن الجذورِ لكنَّه "يُعيدُ بناءَ المكانِ المفقودِ عبرَ الشّعرِ والذَّاكرة"، وتُقدّمُ هذه الدّراسةُ رؤيةً متعمّقةً حولَ كيفيةِ تحوّلِ المنفى إلى عاملٍ محفّزٍ للإبداعِ وكيفَ أنَّ تجربةَ النَّفي تُعيدُ تشكيلَ مفهوم الهُويةِ والانتماءِ في الأدب العربي ومن خلالِ هذه الدّراسةِ المقارنةِ يمكنُ استكشافُ التَّفاعلِ بينَ الذَّاكرةِ والمنفى وكيفَ يصبحُ الأدبُ أداةً لاستعادةِ الهويةِ المفقودةِ وإعادة تشكيلها ضمنَ فضاءٍ جديد.

ثانياً: مفهوم المنفى والهُوية في فكر إدوارد سعيد

تُعدّ الهُويةُ من العناصرِ الأساسيةِ في بناءِ مقوّماتِ أيّ أمةٍ؛ والأمةُ لا وجودَ لها من دونِ هُويةٍ، ويُشيرُ المصطلحُ إلى مجموعةٍ من المعاني منها الحقيقة أو الذَّاتُ أو الماهية، من النَّاحيةِ اللغويةِ الهُويةُ هي "لفظٌ مشتقٌّ من الهُو كما تُشتقُّ الإنسانيةُ من الإنسان، وهُويةُ الشَّيءِ هو عينيته وتشخصه وخصوصيته التي نُدركها بالجوابِ عن السُّؤالِ ما هُو"[١٣] أمَّا في مفهومِها الاصطلاحي فتعرَّف بأنَّها "الحقيقةُ المطلقةُ المشتملةُ على الحقائقِ اشتمالَ النَّواةِ على الشّجرةِ في الغيبِ، أي تلكَ الصّفة الثَّابتة والذَّات التي لا تتبدلُ ولا تتأثرُ ... وهذه الميزاتُ هي التي تُميّزُ الأممَ عن بعضِها البعض والتي يُعبّرُ عن شخصيتِها وحضارتها ووجودها"[١٤]، ويعتقد د. أحمدُ بنُ بغداد أنَّ الهويةَ تتسمُ "بالثباتِ فهي غير قابلةٍ للتجديدِ والتَّغييرِ إنَّها الانتماءُ الذي يُبديه الشَّخصُ لأيّ جماعةٍ فهي تشملُ التَّشبثَ بالقيمِ التي ورثها عن مجتمعِهِ دونَ أن يتدخلَ فيها أيُّ عاملٍ من العواملِ المؤثّرةِ التي بإمكانها إخراج هُوية الشَّخصِ عن مسارِها الحقيقي مما تُؤدي إلى تغييرِ هُويته"[١٥].

من النَّاحيةِ النَّظريةِ "هُناك رؤيتان للهُويةِ فمنهم من يرى أنَّها جوهرٌ ثابتٌ لا يحولُ ولا يزول .... ثُم هناك الرُّؤيةُ الواقعيةُ التي ترى أنَّهُ لا شيءَ بمنأى عن تأثيراتِ التَّحولاتِ والتَّفاعلات التَّاريخية"[١٦]، ومن النَّاحيةِ العمليةِ الانسانُ يُولدُ وتُولدُ هُويته معه ثُمَّ تأخذُ بالتَّطورِ تدريجياً نتيجةَ الاختلاطِ والاحتكاكِ معَ الأخرينَ فـ "الهُويةُ بنتُ الولادةِ لكنَّها في النِّهايةِ إبداعُ صاحبِها"[١٧]، ومنهم منْ يرى أنَّها تتشكَّلُ نتيجةَ الانتماءِ إلى جماعةٍ ثقافيةٍ معينةٍ وأنَّ "هُويةَ الفردِ تتشكَّلُ فقط من تفاعلِ الفردِ مع الأخرينَ"[١٨]، والحقيقةُ "أنَّ الهُويةَ ليسَتْ قضيةً صوريةً بينَ الإثباتِ والنَّفي بلْ هي تجربةٌ انسانيةٌ معيشة"[١٩] تُساعدُ الأديبَ في تعبيرِهِ عن تجربتِه الإنسانية، و "تعتبرُ الهُويةُ ظاهرةً فرديّةً وجماعيّةً على حدٍّ سواء فهي تخصُّ الأفرادَ كما تخصُّ الجماعاتِ الاجتماعيةِ"[٢٠]، والهُوية الجماعيةُ ليسَتْ مجردَ إحساسٍ بالانتماءِ إلى مجموعةٍ ما بلْ هي عمليةٌ اجتماعيّةٌ معقَّدةٌ تتشكَّلُ من خلالِ التَّفاعلِ بينَ الأفرادِ والمجتمعِ، و "الهُويّةُ من حيثُ تشخّصها وتحقّقها للفردِ في ذاتِه وتميّزه عن غيرِهِ هي وعاءُ الضَّميرِ الجمعي لأيّ تكتلٍ بشري ومحتوى لهذا الضَّميرِ في نفسِ الآنِ بما تشملُهُ من قيمٍ ومقوماتِ تكيّفِ وعي الجماعةِ وإرادتها في الوجودِ والحياةِ داخلَ نطاقِ الحفاظِ على كيانِها"[٢١]، ويرتبطُ مفهومُ الهُويّةِ الجماعيةِ بدراساتِ السّيسيولوجيا والأنثروبولوجيا والتَّاريخِ

حيثُ يُستخدمُ لفهمِ تشكّل الجماعاتِ الاجتماعيةِ واستمراريتها أو تحولها، وتشكّلُ الهُويةِ يتمُّ عن طريقِ العلاقاتِ الاجتماعيةِ فبمجرّدِ أنْ "تتبلورَ الهُويّةُ يتمُّ حفظها أو تعديلها أو حتّى إعادة تشكيلها من خلالِ العلاقاتِ الاجتماعية"[٢٢]، وتعتمدُ الهُوية الجماعيةُ على عمليتي الإدماجِ والإقصاءِ حيثُ تتحددُ الجماعةُ من خلالِ تمييزِ نفسِها عن الآخرينَ عبرَ حدودٍ جغرافيةٍ أو قانونيةٍ أو ثقافيةٍ، وتمرُّ الجماعةُ بعمليةِ تماثلٍ داخلي لتعزيزِ وحدتها وفي الوقتِ ذاتِه تمايز خارجي للحفاظِ على استقلاليتها، وتُبنى الهُوية داخلَ الجماعاتِ الاجتماعيةِ ولكنَّها تتشكّلُ أيضاً من خلالِ التَّفاعلِ مع الآخرَ مما يبرزُ أهميّةُ الجماعاتِ المرجعيةِ التي قدْ تكونُ حقيقيةً أو افتراضيةً، ويعتمدُ تحديدُ الهُويةِ الجماعيةِ على اللغةِ والثَّقافةِ والانتماءِ الوطني حيثُ يصبحُ الأفرادُ مستعدينَ للدّفاعِ عنها باعتبارِها جُزءاً أساسياً من وجودِهم، ويمكنُ القول أنّ هُويةَ المجتمعِ تتطورُ وتنموُ عبرَ القرونِ وهي تتوارثُ عبرَ الثَّقافةِ الجمعيةِ وهي التي تمنحُ الفردَ هُويته من خلالِ الأسرةِ والبيئة والمدرسةِ ومن انفتاحِهِ بعدَ ذلكَ على المجتمعِ، وبقدرِ ما يأخذُ الفردُ من هويةِ المجتمعِ بقدرِ ما يُشاركُ هو نفسُه في ترسيخِ هذه الهُويةِ، وعلى الرّغمِ مما يطرأُ على الهُويةِ من تطورٍ وتغيرٍ فإنَّ مقوماتها وملامحها الأصلية لا تتغير.

و"يعدّ إدوارد سعيد أبرز من نظّر للهوية برفضه للقوالب الجاهزة ، فالهوية عنده حالة من التعدد والارتحال، حيث يمكن للإنسان أن يحمل انتماءات متعددة ومتناقضة في آن واحد دون أن يلغي أحدها الآخر، فالهوية الحقيقية تنمو في مناطق التماس بين الثقافات"[٢٣] وهو بهذا فكَّ ارتباطِ المنفى بالمكانِ، ثُمَّ أعطاهُ معانَ جديدةً تتعلقُ بجوانبِهِ الذَّاتية الشّعورية والوجودية، في مقابل المعنى الموضوعي للمنفى حتّى إنَّ عنوانَ مذكراتِه "خارج المكان" يُشيرُ إلى تجاوز المنفى للمكانِ والجغرافيا، ذلك أنّه يتعلّق هنا بالتَّجربة الذَّاتية التي قد تكونُ في خارجِ الوطنِ أو داخله"[٢٤]، منفى إدوارد سعيد هو منفىً بينَ عالمينِ مختلفينِ كلَّ الاختلافِ جغرافياً ولغوياً ومنِ حيثُ العاداتِ والتَّقاليدِ فكيفَ سيتحقَّقُ المكانُ لشخصٍ يُعاني تمزُّقاً بينَ عالمٍ عربي شرقي وعالمٍ إنكليزي غربي، لقدْ كانَ سعيدٌ كاتبَ منفىً مُتمرّداً على واقعِهِ فهو دائمُ الانشغالِ بمواضيعَ تخصُ عالمَه الأولَ العربي؛ وفي الوقتِ نفسه لم يغفلْ عن تأثيراتِ العالمِ الذي يعيشُ فيه ، يقول في الثَّقافةِ والإمبرياليةِ: "لقدْ نشأتُ لأسبابٍ موضوعيةٍ لم يكنْ بوسعي السَّيطرة عليها؛ عربياً ذا تعليمٍ غربي، ومنذُ أقصى لحظةٍ أستطيعُ استنكارَها أحسسْتُ بأنَّني أنتمي إلى كِلا العالمينِ دونَ أنْ أكونَ كليةً جُزءاً عضوياً من أيٍّ منهما... بيدَ أنَّني حينَ أقولُ "منفيٌّ" فأنا لا أعني ما هو حزينُ أو محرومُ بل على العكسِ؛ ذلكَ أنَّ انتماءَكَ إلى كلا ضفتي الفالقِ الإمبريالي يتيحُ لكَ أنْ تفهمها بسهولةٍ أكبرَ"[٢٥]، بهذهِ الرُّؤيةِ لم يكن المنفى عندَ سعيدٍ مجردَ حالةٍ من الفقدانِ بل تحولٌ إلى منظورٍ نقدي يتيحُ لهُ تحليلَ الثَّقافتين من موقعِ المراقبِ الواعي مُستفيداً من المسافةِ التي فرضها المنفى لفهمٍ أكثرَ عمقاً وتعقيداً للواقعين اللذين ينتمي إليهما.

في هذا السّياقِ تناولَ إدوارد سعيد مفهومَ "المنفى والهُوية" باعتبارِهما جُزءاً جوهرياً من التَّجربةِ الإنسانية، وخاصةً في سياقِ الاستعمارِ وما بعدَه ، فالمنفى ليسَ فقط أنْ تكونَ خارجَ المكانِ الذي وُلدتَ فيه بلْ هو تجربةٌ معقَّدةٌ تُشكِّلُ هُويَّةَ الفردِ بطريقةٍ مختلفةٍ وذلك لأنَّ المنفي يعيشُ دائماً بينَ عالمين مختلفين مما يمنحُهُ منظوراً فريداً حولَ الثَّقافةِ والهُويةِ والانتماء فهو لا ينتمي بالكاملِ لأيّ مكانٍ لكنَّهُ قادرٌ على رؤيةِ تناقضات المجتمعاتِ بشكلٍ أوضح، يقول سعيد: "وجهةُ قلبِ المنفي إلى مكانٍ بعيدٍ، بينما يشعرُ بأنَّه لا ينتمي إلى المكانِ الذي يعيشُ فيه"، ويُعزّزُ سعيدٌ فكرةَ أنَّ المثقفَ مثل المنفي لا ينتمي بالكاملِ إلى أيّ مجتمعٍ أو جماعةٍ وهذا الانتماءُ الجُزئِي يمنحُ المثقّفَ حريّةً أكبرَ في التّفكيرِ والتّعبيرِ عن الآراءِ التي قد تكونُ غيرَ شعبيةٍ أو غيرَ مرغوبٍ فيها، والمثقَّفُ كمنفي هو دائماً على هامشِ المجتمعِ مما يجعلُه أكثرَ استقلالية في آرائِه وأفكارِه؛ يقول سعيد مُتحدّثاً عن أحدِ أساتذته في أمريكيا "وعلى الرّغمِ من فوزي بالمرتبةِ الأولى فقدْ أبقانِي في المرتبة الثَّانيةِ لأنَّني حسبَ ما قالَ لي ذاتَ مرةٍ مؤنّباً لستُ أهلاً لأنْ أكونَ في المرتبة الأولى فكثرةُ حركاتِي واعتراضاتِي وثوراتِي المزاجية تبرهنُ أنّي لسْتُ رصيناً بما فيه الكفاية على حدّ تعبيرِهِ ... كذلك تعلَّمْتُ أنَّكَ لن تعرفَ أبداً لماذا وعلى أيّ أساسٍ يجري الحكمَ عليكَ بأنَّكَ غيرُ صالحٍ لاحتلالِ موقعٍ أو لعب دورٍ ما.. مع أنَّ المؤشرات تؤهلك لذلك"[٢٦]، ويرفضُ سعيد فكرةَ الهُويةِ الثَّابتةِ والمغلقةِ مُعتبِراً إياها بناءً اجتماعياً وثقافياً مُتغيراً، والهُويةُ بالنِّسبةِ له ليسَتْ جوهراً ثابتاً بل تتشكَّلُ عبرَ التَّجربةِ والتَّفاعلِ المستمرِ مع الآخرِ وخاصةً في حالةِ المنفى حيثُ يضطرُ الشَّخصُ إلى إعادةِ تعريفِ نفسِه باستمرار.

وبينما يُعاني المنفي من الاغترابِ والحنينِ فإنَّهُ أيضاً يتمتعُ بحريةِ التَّفكيرِ بعيداً عن القوالبِ الوطنيةِ الضّيقةِ هذا التَّوتر بينَ الألمِ والإبداعِ يجعلُ "الإغتراب" تجربةً معقَّدةً حيثُ يُصبحُ الشَّخصُ قادراً على إنتاجِ معرفةٍ نقديةٍ جديدة "فالمنفى يُحرّر المثقَّفَ من الضُّغوط الخارجية؛ ضغوط المجتمع والدولة والسُّلطةِ والأهل والأوهام"[٢٧]؛ وهذا ما انعكسَ في أعمالِ سعيد نفسه، إدوارد سعيد عاشَ في الغربِ لكنَّهُ ظلَّ مُتجذّراً في قضيتِهِ الفلسطينية مما جعلَهُ يتبنى موقفاً نقدياً مُزدوجاً فهو ينتقدُ الاستعمار والاستشراق الغربي ولكنَّهُ في الوقتِ نفسِه يستخدمُ أدواتَ الفكرِ الغربي لتفكيكِ هذه البُنى الاستعمارية وهذا يتجلَّى بوضوحٍ في كتابِه "الاستشراق"، ويرى سعيد أنَّ "المنفى الفكري" لا يقتصرُ على من أُجبِرَ على مغادرةِ وطنِه بلْ يمكنُ أنْ يكونَ موقفاً نقدياً يتبناهُ المفكرُ حتَّى داخلَ وطنه حيثُ يكونُ في صراعٍ دائمٍ مع السَّائِدِ والمألوفِ مما يسمحُ له بإنتاجِ أفكارٍ أكثرَ تحرراً وتنوعاً؛ يقول سعيد: "يمكنُ للمرءِ أنْ يكونَ خارجَ المكانِ من دونِ أنْ يكونَ بعيداً بالضَّرورة، حيثُ الوطنُ ممنوعٌ سياسياً وكونكَ مُطوقٌ أسفلَ الهرمِ الاجتماعي"[٢٨].

ويرى سعيد أنَّ للمنفى طبيعته المعقّدة فأنتَ "عندما تتركُ موطنك لن تتمكنَ ببساطةٍ أينما حللتَ من أنْ تستأنفَ حياتك وتصبحَ مجردَ مواطنٍ آخر في المكانِ الجديد"[٢٩]، وهذا الأمرُ يمثِّلُ حالةً متقطِّعةً وغير مستقرّة من الوجود حيثُ يكونُ المنفيون مجتثين من جذورِهم وأرضِهم وماضيهم وبدونِ دعمٍ من دولٍ

أو جيوش، ويسعى المنفيون غالباً لإعادةِ بناء حياتهم المحطّمة من خلال الانتماءِ إلى أيديولوجيات ظافرة أو شعوبٍ متجدّدة، ويشيرُ أيضاً إلى أنَّ النّفي إذا لم يُعزّز بالأيديولوجيات التي تمنحُ الأملَ بإعادةِ تشكيل الهُوية والتّاريخ يُصبحُ حالةً غيرَ محتملةٍ ومستحيلة في النّهاية، والأمثلةُ على ذلك كثيرة من تاريخِ اليهود والفلسطينيين والأرمن، يقول:"المنفى بخلافِ القوميّة هو في جوهرِهِ حالةٌ متقطّعةٌ من حالاتِ الكينونةِ، فالمنفيونَ مجتثونَ من جذورِهم ومن أرضِهِم ومن ماضيهم، وهم عادةً بلا جيوش أو دولٍ مع أنَّهم غالباً ما يبحثون عنها، ولذا يشعرُ المنفيون بتلكَ الحاجةِ الملحَّة لإعادةِ تشكيل حيواتهم المحطمة وذلك عادةً عن طريقِ اختيارهم أنْ ينظروا إلى أنفسِهم على أنَّهم جزءٌ من إيديولوجيا ظافرة أو شعب متجدد، والشّيءُ الحاسمُ هو أنَّ حالةَ النّفي الخالية من هذه الإيديولوجيا الظافرة– المصمّمة لِلَمِّ شتات تاريخِ المنفى المحطم في كلِّ جديدٍ – هي حالةٌ لا يمكنُ احتمالها في النّهاية، وهي في النّهاية حالةٌ مستحيلةٌ في عالمِ اليومِ، انظروا إلى مصير اليهودِ والفلسطينيين، والأرمن"[٣٠].

ولا يشيرُ "المنفى"عندَ سعيد فقط إلى النفي الجغرافي أو الابتعاد عن الوطنِ، بلْ إلى شعورِ المثقفِ بالغربةِ والانعزالِ عن المجتمعِ السّائِدِ والقيمِ السّائِدة ، يقول" ثَمّةَ موضوعان ضامران في كتابتي هذا الكتاب، أولهما انبثاقُ ذاتٍ ثانية كانت مدفونةً لمدّة طويلةٍ جداً تحتَ سطحِ خصائص اجتماعية غالباً ما تُكتسبُ بواسطةِ العادةِ والالتزامِ وتنتمي إلى تلكَ الذَّات التي حاولَ أهلي تركيبها وأعني بذلك (إدوارد) الذي أتحدثُ عنه هنا بينَ الحينِ والأخر، والثاني هو الكيفيّة التي أدى بها عددٌ متزايدٌ جداً من المغادراتِ التي زعزعَتْ أركانَ كياني منذُ بداياتها الأولى، وفي نظري أنَّ ما من شيءٍ يُميّزُ حياتي على نحوٍ أشدُّ إيلاماً أكثرَ من تنقلاتِي العديدة عبرَ البلدانِ والمدنِ والمساكنِ والبيئات وهي تنقلاتٌ ظلَتْ تحركني خلالَ تلكَ السّنواتِ"[٣١]، ويرى سعيدٌ إنَّ المنفى هو التَّدريبُ الضَّروري والدّواءُ لتحويلِ محترفِ الثّقافةِ إلى مثقفٍ يقول: "فالمثقفُ الذي تتقمّصهُ حالة المنفى لا يستجيبُ لمنطقِ التَّمسكِ بالأعرافِ، بل لجراءةِ المغامرةِ ولتمثيل التغيير وللمضي قُدُماً لا للركودِ والجمود"[٣٢].

وفي سياقِ القضيةِ الفلسطينيةِ اعتبرَ سعيد المنفى "تجربةً سياسيةً بامتيازٍ"[٣٣] حيثُ تحولَ الفلسطيني إلى رمزٍ للنِّضالِ ضدَ الظُّلمِ الاستعماري ، ويرى أنَّ منفى الفلسطينيين من أغرب مصائر المنفى وذلك لأنَّهم "يشعرون أنهم قد تحولوا إلى منفيين على أيدي اليهود ذلك الشعب الذي يضرب به المثل في النفي ولعلّ هذا أن يكون أغرب مصير بين مصائر المنفى أن تكون منفيا من قبل منفيين؛ أن تتجدّد عملية الاقتلاع على يد منفيين"[٣٤]، كما أنَّه انتقدَ محاولاتِ طمسِ الهُوية الفلسطينية مُشيراً إلى أنَّ الفلسطينيينَ في المنفى لا يزالونَ قادرينَ على الحفاظِ على ذاكرتِهم الجمعيةِ ومقاومةِ محو وجودهم.

ثالثاً: تجربة عبد الكريم كاصد مع الاغتراب والمنفى والخروج عن المكان

يُعدُّ الشَّاعر عبد الكريم كاصد من أبرزِ الأصواتِ الشِّعرية العربيةِ التي تُجسِّدُ تجربةَ الاغترابِ والخروجِ عن المكانِ بكلِّ تعقيداتِها النَّفسية والوجدانية حيثُ لا يظهرُ الخروج عن المكان في شعرِهِ مجردَ حالة جغرافية بل يتجلَّى كحالةٍ وجوديةٍ تُعيدُ تشكيلَ علاقته بالزَّمان والمكان، فمنذُ رحيلهِ عن العراقِ في سبعينيات القرن الماضي ظلَّ المنفى يُشكِّلُ ملامحَ تجربتِه الشِّعرية التي انعكسَتْ في نصوصِهِ كشعورٍ دائمٍ بالخروجِ عن المكانِ الذي وُلد فيه، ودراسةُ هذه النُّصوص تُسهمُ في فهمِ الأثرِ النّفسي والاجتماعي للمنفى على الفردِ، يقول كاصد "إنَّ ما يُعمّقُ المأساةَ أنَّ الوطنَ لم يعدْ هو الحلم وقد أصبحَ منفىً آخر، منفىً ليس فيه من سماتِ الوطنِ غيرُ ماضيه الذي تحملُه معكَ مُنفرداً، والذي لم يبقَ منه سوى آثارٍ من الصَّعب أنْ تتبيَّنها، ووجوهٍ حائِلةٍ ما زالَتْ تحتفظُ بتلكَ النّضارةِ التي تلوحُ أطيافاً في مخيِّلتِك، إنَّه الفقدان حقّاً"(٣٥).

يرى كاصدٌ أنَّ المنفى ليسَ مجردَ ابتعادٍ عن الوطنِ بلْ هو حالةٌ من العيشِ " غريباً" حيثُ يتحوَّلُ كُلّ مكانٍ يُقيمُ فيه إلى مساحةٍ غير مألوفةٍ لا تمنحُه الإحساسَ بالانتماءِ الحقيقي، ويطرحُ كاصد من خلالِ نصوصِه أسئلةً وجوديةً حولَ ما إذا كانَ المنفى هو النتيجةُ الحتميةُ للبحثِ عن الحريّة والهروبِ من القمعِ أو ما إذا كانَ الوطنُ نفسُه يمكن أنْ يُصبحَ منفىً إذا فقدَ الإنسانُ الشّعورَ بالانتماءِ إليه، يقول:

"هل الوطن منفىً أول .. منفىً قبل المنفى.. لعنةٌ حاضرةٌ، في الحزن أو في الفرح، في أصغر التّفاصيل وأكبرها؟

أكانُ الثمنُ هو كلّ ما يتبقّى للمنفيّ؟

أليس للمنفي مباهج وسطَ الخسارات، وسماء تعلو على جدار كريه؟

أكانَ الثمنُ عارضاً أم جوهراً في حياة المنفي؟

هل المنفي نمطٌ.. رقمٌ يتكررُ في لائحةِ المنفى"(٣٦)

إنَّ "الاغتراب" برأي كاصد يتبدى من خلالِ المنفى الذي لا يبدأُ فقط بالخروجِ من الوطن بل قدْ يكونُ كامناً فيه منذُ البداية وأنَّ الشُّعورَ بالانتماءِ والمنفى ليسا بالضَّرورةِ نقيضين بلْ حالتان متداخلتان في تجربةِ الإنسانِ الوجودية.

وفي أدبِ الرِّحلاتِ يتناولُ كاصدٌ المدنَ التي مرَّ بها مثل عدن ودمشق وبيروت ولندن ولكنَّها لا تتحولُ إلى أوطانٍ بديلةٍ بلْ تبقى مجردَ محطاتٍ عابرةٍ تُكرّسُ شعورَهُ بالانفصالِ والخروجِ عن المكانِ وهو ما يظهرُ جلياً في كتابِهِ "منفىً ومهاجر" الذي نلاحظ فيه انعدامَ الاستقرارِ النَّفسي والتَّأرجحِ بينَ أماكنَ لا تملكُ القدرةَ على احتوائِه، ومن خلالِ دراستنا لشِّعرِه يظهرُ الوطنُ كحلمٍ بعيدٍ يستعيدُهُ عبرَ الذِّكرياتِ بينما يُصبحُ المنفى فضاءً مفتوحاً بلا حدودٍ واضحة، يقولُ: "كانَ المنفى بالنسبةِ إليَّ كالصحراءِ مفتوحاً على الجهاتِ الأربع لا أعرفُ أينَ تحملني رياحُه ومتى تهبُّ؟"(٣٧)، إنَّ دراسةُ هذا الموضوع هو مصدرُ إلهامٍ

للكتابِ والشُّعراءِ الجدد لفهمِ كيفيةِ تحويلِ التّجارب الشّخصية الصّعبةِ إلى إبداعٍ فني يُعبّرُ عن قضايا إنسانية كبرى، يقولُ في إحدى قصائِده:

" أنا الذي أبديتُ من الصبر
ما يجعلني ملكاً للعزلة
وخادماً للصداقة
أعلن عن مللي
وقد قطعتُ إليكِ ألوفَ الأميال
ولم يبقَ سوى بضع خطىً
تاركاً هذه المسافة القصيرة
لكِ أنت
فاقطعيها إذا شئتِ
بآلاف الأعوام"(٣٨).

المنفى يَظهرُ كحالةٍ نفسيّةٍ من العزلةِ والصبرِ، هذا التَّصويرُ العميقُ للمنفى يُؤكّدُ أنَّ الخروجَ من الوطنِ ليسَ مجردَ خروجٍ من المكانِ الذي ترعرع فيه الأديبُ بلْ عن مسافة روحية واغتراب عميق، يبدأ النص بالجمع بين الكبرياء والانكسار، فالاغتراب يحوّل المنفيّ إلى كائن معزول، لكنّ الشاعر يرتدي هذه العزلة كتاجٍ وهي آلية دفاعية نفسية يلجأ إليها المغترب لحماية ذاته من التآكل، لقد روّض الصبر حتى أصبحت العزلة موطنه البديل، ثم نجد المفارقة في تواصله الإنساني مع الاخرين، هذا التمزق بين الرغبة في الانتماء والاضطرار إلى الانكفاء على الذات هو من أبرز علامات الاغتراب النفسي لدى الشاعر، فالنص يمثل اغتراب الروح التائهة، التي اتعبها السعي، فالمنفى هنا ليس مكانا جغرافيا بل هي المسافة التي تفصله عمن يحب.

ويتبدّل تصويرُ المكانِ في نصوصِ كاصدٍ بينَ الحنينِ إلى الوطنِ والرُّؤيةِ القاتمةِ للمنفى، ففي قصائِده التي تستعيدُ صورَ العراقِ يظهرُ المكانُ بوصفِهِ ذاكرةً نابضةً بالحياةِ مليئاً بالمشاهدِ الحميمةِ مثل الأزقَّة الضَّيقةِ والأسواق والأصوات التي كانَتْ تُشكّلُ عالمه الأول ولكن عندَ الحديثِ عن المنفى يصبحُ المكانُ مجردَ مساحةٍ فارغةٍ بلا تاريخٍ أو روح وكأنَّه غير قادرٍ على استيعابِ وجوده، وفي بعض النُّصوص يأخذُ المكانُ بُعداً مُزدوجاً إذ يُصبحُ الوطنُ نفسهُ نوعاً من المنفى خاصةً عندما يفقدُ الفردُ القدرةَ على العودةِ إليه أو حينَ يتحوَّلُ إلى كيانٍ غريبٍ لم يعدْ يُشبهُ ما كان عليه، فالمنفى ليسَ مجردَ تجربة مؤقَّتة بل هو تجربةٌ دائمةٌ تتجاوزُ الانفصالَ الجغرافي إلى انفصالٍ روحيّ ونفسي عميق، يقول: "حينَ تكونُ منفيّاً فأنتَ تنتظرُ، ماذا ننتظر الآن؟ وقد أصبحَ الوطنُ منفىً والإقامةُ فخّاً والزّيارة خطفاً، وقد يكونُ الاثنانُ طريقاً إلى الموت، أو ضياعاً حينَ تفقدُ الوطنَ والمنفى معاً، فلا ذهابَ هناكَ ولا عودة، بل هي حالة هي سكون

محض وموت آخر"[٣٩]، والمنفى عندَ كاصدٍ ليسَ أنْ تكونَ منفيا عن مكان تعودْتَ عليه فحسب بلْ هو شعورٌ بالاغترابِ الدَّائِمِ حتّى في اللحظاتِ التي قد يقتربُ فيها من وطنه جسدياً، وهكذا يتحوَّل الوطنُ إلى مجردِ فكرة ضبابية بينما يغدو المنفى واقعاً ملموساً لا يمكنُ الهروبُ منه، يقول في قصيدة صورة إدوارد:

" (أي بلاد هذه ....!)
نجتاز إليها منفى
يعقبه منفى
يعقبه منفى
في أقصى الأرض
ولا تبلغها
أي بلاد ...!
منفانا هي؟
منفاها نحن؟
تقول: (اهجرها لتجيء!)
ولو جاءت أترانا ندخلها مغتربين؟"[٤٠].

إنَّ مفهومَ "الاغتراب " يتجلَّى– برأي كاصد – من خلالِ الإحساسِ بالمنفى الدَّائم حيثُ يُصبحُ الوطنُ فكرةً بعيدةً لا يمكنُ بلوغها وكأنَّ المنفى لا ينتهي بلْ يُعيدُ إنتاجَ نفسه باستمرارٍ، فالمنفى غيّر ملامح الشاعر الروحية، والسنوات غيرت ملامح الوطن، فالشاعر غريب في منافيه، وسيكون غريبا لو عاد إلى بلاده، إنه نص يجسد الضياع الأبدي في جغرافيا الروح، فالوطن لا يتجلى للشاعر بصورته الحقيقية الإ عندما يكون بعيدا عنه، أما الاقتراب الفعلي فلا يتحقق.

ويعتمدُ كاصدٌ في التَّعبيرِ عن تجربةِ الاغترابِ على مجموعةٍ من الرُّموزِ التي تعكسُ هذا الإحساسَ بالخروجِ عن المكان، ولنأخذْ مثالاً على ذلك قصيدةَ "ضفتان" من كتابِه "منفىً ومهاجر" يقول كاصد:

" جندٌ ينتظرونْ
ماذا ينتظرون؟
قرىً
ومنازلَ
تسكنُها الأشباح
وفي الجهة الأخرى
في الضفّة تلك –
جنودٌ يحتفلون

ظلالُ طيورٍ تسرعُ
ما بين الضفّة والضفّةِ
تلتمعان
(ترى من يجرؤ أن..؟)
.....
في كوخٍ عند النهر
امرأةٌ
تحضن كيسَ عظامٍ وتنام
لعلّ هناك
هنا
الحاجزَ ذاتهُ
القاطعَ ذاتهُ
النخلةَ
(هل بدأ القصف؟)
ترى أين مضى الناس؟
.....
المسجدُ
تعلوهُ النخلةُ
مئذنةً"(٤١)

من أبرز هذه الرموز في هذه القصيدة ودلالتها على مفهوم "الإغتراب"

"الجندُ ينتظرون..
ماذا ينتظرون؟"
قرىً..
ومنازل..
تسكنُها الأشباح"

يرمزُ الجنودُ إلى السُّلطةِ والقوةِ لكنَّ الانتظارَ هنا يحملُ دلالةَ الضَّياعِ والتَّردِدِ مما يعكسُ فكرةَ اللاانتماء والضَّياعَ المكاني فهم لا يتظرون النصر ولا المعركة بل يصبحونَ في حالةٍ معلَّقةٍ بينَ الفعل

واللافعل كأنَّهم ينتظرون العودة إلى بيوتهم أو ربما يتأملون القرى التي يوشكون على تدميرها، فهناك مفارقة بين قسوة الجندية ورقة الأرواح التي تسكن البيوت.

" في الجهة الأخرى..

في الضفّة..

تلك جنودٌ يحتفلون"

تكرارُ صورةِ الجنودِ لكن هذه المرةُ في احتفالٍ يرمزُ إلى التَّناقضِ العميقِ بينَ طرفي النِّزاعِ، إحدى الضِّفاف تعيشُ في الحُزنِ والدَّمارِ بينما الأخرى في احتفالٍ مما يعكسُ مفارقةَ المنفى الدَّاخلي حيثُ الوطنُ مقسَّمٌ إلى عالمين متضادين أحدهما يُعاني والآخرُ يتجاهلُ المعاناة، فالشاعر يرسم لوحة تشكيلية بالكلمات، النص يظهر كيف تحول الحرب البشر إلى كائنات معزولة ومغتربة عن انسانيتها.

" ظلال طيورٍ تسرعُ ..

ما بين الضفّة والضفّة"

الطيورُ هنا ترمزُ إلى الحركةِ والحريةِ لكنَّها مجرد ظلالٍ أيْ أنَّها ليسَتْ حقيقيةً أو ربما لا تستطيعُ العبورَ بحريةٍ مما يعكسُ استحالةَ تجاوزِ الحواجزِ والحدودِ المفروضةِ على المكان وهي فكرةٌ أساسيةٌ في تجربةِ تجسد حرية الطبيعة مقابل سجن الحرب الذي يحول البشر إلى كائنات معزولة ومغتربة عن إنسانيتها.

" في كوخٍ عند النهر..

امرأةٌ..

تحضن كيسَ عظامٍ وتنام

المرأةُ تُمثِّلُ الإنسانَ المنفي والمكلوم واحتضانها لكيسِ العظامِ يرمزُ إلى التَّشبثِ بالماضي وبالذين فَقَدَتْهُم، ونومها قدْ يكونُ استسلاماً للواقع أو هروباً منه إلى عالمٍ آخرَ مما يُجسِّدُ فكرةَ أنَّ المنفى الدَّاخلي يكونُ حاضراً حتَّى في أكثرِ الأماكنِ حميميةً،

" الحاجزَ ذاتهُ..

القاطعَ ذاتهُ..

النخلةَ"

الحاجزُ والقاطعُ رمزان للقمعِ والفصلِ مما يعكسُ الحدودَ التي تفصلُ الإنسانَ عن مكانِهِ الحقيقي، أمَّا النخلةُ التي تعودُ لاحقاً في صورةِ المئذنةِ فهي رمزٌ للثَّباتِ والهوية لكنَّها هنا تبدو مُحاطةً بالقيودِ والعوائق. المسجدُ..

تعلوهُ النخلةُ..

مئذنةً"

المسجدُ يرمزُ إلى الرُّوحانيةِ والانتماء، والمئذنةُ التي تتشكلُ من النَّخلةِ تربطُ بينَ الأرضِ والسَّماء لكنَّها في هذا السّياق قدْ تعكسُ اغترابَ الإنسانِ حتَّى في أكثرِ الأماكنِ قداسةً حينَ لا يصبحُ الدِّينُ أو التَّاريخُ ملاذاً كافياً أمامَ الواقعِ القاسي.

علاقةُ الرُّموزِ بمفهومِ " الاغتراب": النَّصُ يخلقُ عالماً ممزقاً ومنقسماً حيثُ لا يوجدُ انتماءٌ واضحٌ ولا مكانَ ثابتٌ، ونجدُ فيه تداخُلَ الحياةِ والموتِ؛ الحربِ والسَّلامِ؛ والوطنِ والمنفى بحيث لا يصبحُ أيَّ مكانٍ مكاناً حقيقياً للإنسانِ، وتكرارُ الحدودِ والحواجزِ يعكسُ فكرةَ المنفى الوجودي حيثُ لا يمكنُ للإنسانِ العيشَ بحريةٍ حتَّى داخلَ وطنِه، والنِّهايةُ تحملُ تناقضاً رمزياً بينَ الثَّباتِ (النخلة) والقداسةِ (المئذنة) والدَّمارِ المحيط بهما مما يجعلُ المكانَ ذاته غريباً عن أهلِه وكأنَّهم غُرباء داخله، وبشكلٍ عام النَّصُ يُعبِّرُ عن فكرةِ "الاغتراب" من خلالِ الحدودِ الماديةِ والنّفسيةِ التي تفصلُ الإنسانَ عن وطنهِ وتجعلُ حتى الأماكنَ المألوفةَ غريبةً عنه، إنَّهُ منفىً داخلي وخارجي في آنٍ واحد حيثُ يتيهُ الإنسانُ بينَ ماضٍ مهدَّم وحاضر ممزَّق ومستقبل مجهول.

مما تقدمَ نجدُ أنَّ تجربةَ كاصدٍ تعكسُ مع الاغترابِ والمنفى رُؤيةً متشابكةً تجمعُ بينَ الحنين والضَّياعِ وبينَ الذكرى والواقع وبينَ المكانِ الذي غادرَه والمكان الذي لم يستطعْ أن ينتمي إليه. فالوطنُ لديه لم يعدْ وطناً والمنفى لم ولن يُصبحَ بيتاً، ليظلَ مُعلَّقاً في فضاءٍ من الأسئلةِ التي لا تجدُ إجابةً، إنَّهُ شاعرٌ يُعيدُ صياغةَ مفهوم المنفى لا باعتبارِهِ مكاناً بلْ كحالةٍ دائِمةٍ من البحثِ عن الذَّاتِ في عوالمَ متغيرة وغير ثابتة.

رابعاً: الاغتراب عند سعيد وكاصد

يُعَدُّ كلٌّ من إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد من أبرزِ الكُتّابِ الذين تناولوا مفهومَ "الاغتراب"، لكن لكلٍّ منهما رؤيتُه الخاصةَ حولَ معنى "المنفى وتأثيره على الهوية"، ومن خلالِ تحليلِ كتاباتهما يُمكننا استكشافُ كيفَ يختلفُ مفهومُ "الاغتراب" عندَ كلٍّ منهما وكيفَ يُؤثِّرُ البعدُ الثّقافي واللغوي في رؤيتِهما بالإضافةِ إلى التَّوترِ القائِم بينَ الهويةِ الفرديةِ والهوية الجماعية في أعمالِهما.

١- مفهوم المنفى: فقدان للمكان أم خلق لمكان جديد؟

يُعدُّ المنفى تجربةً معقَّدةً تتراوحُ بينَ فقدانِ المكانِ ومحاولة خلق مكانٍ جديدٍ وهذا ما ظهرَ بوضوحٍ في أعمالِ إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد ولكن برؤىً مختلفةٍ، وعلى الرّغمِ من أنَّ كليهما عاشَا تجربةَ الاغترابِ إلا أنَّ طريقةَ تعاملهما معها اختلفَتْ بشكلٍ جوهري مما يبرزُ جدلية المنفى بينَ التّمزّق والاقتلاعِ من جهة؛ وإعادةِ بناءِ الهويةِ والانتماءِ من جهةٍ أخرى.

تطرحُ قضيةُ الكتابةِ والمنفى باعتبارِه فقداناً للمكانِ في أعمالِ إدوارد سعيد ثنائيةَ الضدِّ؛ ثنائية الضَّرورةِ والحرية؛ كما أنَّها "تؤسّسُ لتشكلاتِ هُوية أساسُها الفضاءُ العمومي المتعلّقُ بالانتقالِ مع ما يحملُه من خصوصياتٍ على مستوى الهُويةِ والمرجعيةِ وضبابيةِ الأفقِ، إنَّ إدوارد سعيد المجبر على المنفى يتداوى بسرديةِ للانتماء شكَّلتها معظمُ أعمالِهِ"[٤٢]، يرى إدوارد سعيد أنَّ المنفى هو حالةٌ من "الاقتلاعِ والتّمزق" حيثُ يفقدُ الإنسانُ ارتباطه بجذورِهِ ولا يجدُ مكاناً جديداً يُعوضهُ عن وطنِهِ الأصلي، ومن خلالِ تأمّلِ عنوانِ سيرته "خارجَ المكانِ" نجدُ أنَّ هذا العنوان يتوافقُ ومعنى النفي لأنَّ الابتعاد عن المكانِ لا يكونُ بالخروجِ عنه وإنَّما بفعلِ الإخراجِ القسري المؤدي إلى معنى إرادةِ الاقتلاعِ وهو ما يؤسّسُ لمعنى البعدِ والمنفى والضَّياع لأنَّ المنفى "رحيلٌ في الجغرافيا والزَّمن وذاكرة الذَّات والمحيط؛ وعيش على إيقاعِ الخوفِ والفقدانِ ومجاوزة للظَّاهر الذي ألفتُه العينُ واستوطنَ خلايا الذِّهن إلى البعيدِ الغامضِ الموحش"[٤٣]، ويمكن القول أنَّ المنفى هو الذي يسكنُ إدوارد وهذا ما يؤكده قوله" يُجبِرُ المنفى المرءَ على التَّفكيرِ فيه ويالها من تجربةٍ فظيعةٍ، إنَّه الشَّرخُ المفروضُ الذي لا التئامَ له بينَ كائِن بشري ومكانه الأصلي، بينَ الذَّاتِ وموطنها الحقيقي فلا يمكنُ البتَّة التَّغلبُ على ما يُولّدُهُ من شجنٍ أساسي"[٤٤].

وفي سيرته الذَّاتية "خارج المكان" يُعبّرُ سعيدٌ عن شعورِهِ بأنَّه متشظي سواء أكانَ في فلسطين أو كانَ في الغربِ ما يجعلُهُ يعيشُ حالةً دائِمةً من الاغترابِ، والمنفى ليسَ مجردَ انفصالٍ عن المكانِ بلْ هو حالةٌ من التَّشظّي المستمرِ بينَ عالمين دونَ انتماءٍ كاملٍ لأيٍّ منهما يقول: "إنَّ الدَّافعَ الرَّئيسي لكتابةِ هذه المذكّراتِ هو طبعاً حاجتي إلى أنْ أُجسّر المسافةَ في الزّمانِ والمكانِ بينَ حياتي اليومَ وحياتِي بالأمسِ، أرغب فقط في تسجيلِ ذلكَ بما هو واقعٌ بديهي دونَ أنْ أعالجه أو أناقشه علاوة على أنَّ انكبابي على مهمةِ إعادةِ تركيبِ زمنٍ قديمٍ وتجربةٍ قديمةٍ قد استدعى شيئاً من البعادِ ومن السُّخرية في الموقف والنبرة"[٤٥]، وشدّدَ سعيدٌ أيضاً على هُويته الفلسطينية ونضالِه المستمر في التَّحدثِ باسم الفلسطينيين اللاجئين والمنفيين والمشردين في أنحاءِ العالمِ في محاولةٍ منهُ لإثباتِ هُويتهِ الفلسطينيةِ التي باتَتْ صعبةَ المنالِ وسطَ الانقساماتِ والتَّشريدِ، وحاولَ خلالَ مذكراته فضحَ الهدفَ الاسرائيلي وهو تهميشُ الرّوايةِ الفلسطينيةِ بهدفِ "تغييرِ معالمِ المكانِ وطمسِ وجهِهِ الجغرافي حتَّى لا يبقى فيه مكان تنطلقُ منه الرّوايةُ حاضراً ومستقبلاً؛ وإنْ انطلقَتْ في أحسنِ الأحوالِ فإنَّها تكونُ محرومةً من الاستمراريةِ حاضراً ومستقبلاً أيضاً، وهكذا يلتقي البعد المكاني بالبعد الزمني"[٤٦]، استطاعَ سعيدٌ بفضلِ الكتابةِ أنْ يُجسّرَ الحدودَ

المتباعدةَ بينَ المنفيّ المبعدِ عن وطنِهِ؛ والوطنِ الذي استُعِيدَ عن طريقِ الذَّاكرةِ فكانَتْ فلسطين جغرافياً مُتخيَّلةً استعادَها إدوارد حتَّى يجعلَ من المنفى المكانِ المُعاشِ فيه غائباً؛ بينما يحضرُ المكانُ المتخيَّلُ الذي هو فلسطين في كتاباتِه.

أمَّا كاصدٌ فيتجلى المنفى لديه كحالةٍ متشابكةٍ لا تقتصرُ على مجردِ الابتعادِ الجغرافي عن الوطنِ بلْ تمتدُّ إلى الشُّعورِ "بالاقتلاعِ الثَّقافي واللغوي" ما يجعلُ التّساؤلَ حولَ ماهيةِ المنفى محوراً أساسياً في كتاباتِه، ويعكسُ شعرُ كاصدٍ الإحساسَ العميقَ "بالاقتلاعِ من المكانِ" حيثُ يبدو الوطنُ في قصائِده مكاناً بعيداً لا يمكنُ استعادته إلا عبرَ الذَّاكرةِ ويصبحُ المنفى تجربةً مريرةً تعكسُ الانقطاعَ عن الجذورِ الثَّقافيةِ والانتماء الأصلي ما يخلقُ شُعوراً دائماً بالضّياعِ والحنين وهذا ما يظهرُ واضحاً في تصويرِه للمدنِ والقرى التي هجرها والتي تتحولُ إلى أطلالٍ تسكنُها الأشباحُ وكأنَّها مجردُ ظلالٍ لما كانَتْ عليه ويتجلى هذا الإحساسُ بوضوحٍ بقولِهِ: "لمْ أكنْ أعرفُ أنَّ للشّعرِ منفاه أيضاً" مما يعكسُ أنَّ المنفى لا يقتصرُ فقط على الفقدانِ المكاني بلْ يمتدُّ ليشملَ التّجربةَ الإبداعية ذاتها، وعلى الرّغمِ من هذا الإحساسِ العميقِ بالفقدانِ فإنَّ كاصد لا يستسلمُ لهذه الحالةِ بل يسعى إلى إعادةِ بناءِ مكانٍ جديدٍ من خلالِ اللغةِ والشِّعرِ وتصبحُ الكتابةُ عنده بمثابةِ وطنٍ بديلٍ يستطيعُ أنْ يستعيدَ فيه ما فقدَهُ على المستوى الواقعي، إنَّ الكلمةَ الشِّعريةَ عنده ليسَتْ مجردَ أداة للتَّعبيرِ بلْ هي مساحةٌ يُعيدُ من خلالها تشكيلَ ذاته وهويته في المنفى، إنَّ تجربةَ كاصدٍ في المنفى ليسَتْ تجربةً ثابتةً بلْ هي متغيرةٌ باستمرارٍ بينَ الحنينِ إلى المكانِ المفقودِ والسَّعي إلى تأسيسِ فضاءٍ جديدٍ من خلالِ الإبداعِ، هذا التَّوترُ يظهرُ في استخدامِه لصورةِ المكانِ الضَّائع مقابلَ المكانِ المُعادِ تكوينه في الذَّاكرةِ والشِّعر فنجدُ أنَّ المدنَ في قصائِدِه ليسَتْ مجردَ أماكنَ جغرافية بلْ تتحولُ إلى كياناتٍ رمزيةٍ تعكسُ ألمهُ الشَّخصي وتجربتَهُ الوجودية مما يجعلُ من شعرِه شهادةً حيَّة على هذا الصِّراعِ المستمرِ بينَ الفقدانِ وإعادةِ الاكتشاف، يقول في إحدى زهيراته:

" في ليل منفاي روحي أضرمَتْ نارها
حرب تُرى ما أرى أم حاطِب نارها
يا حاطِبَ الليلِ أشفق بالذي نارَها
اقبلتُ أخلي قتيلي في نهار يَشِبْ
جسمي رمادٌ وروحي جمرةٌ لا تَشِبْ
حتّى إذا ضمني ليل وليلي أشب
الفيتُ روحي بقفرِ جاوزَتْ نارها"[47]

يعكسُ هذا النَّصُ تجربةَ المنفى الوجودي حيثُ لا ينتمي المنفي إلى أيّ مكانٍ حقيقي بلْ يتحركُ في فضاءٍ بينَ الماضي والحاضرِ بينَ الذَّاكرةِ والواقعِ، إنَّ احتراقَ الرُّوحِ دونَ انطفاءٍ يرمزُ إلى أنَّ المنفى ليسَ مجردَ "فقدانٍ للمكانِ" بلْ هو حالةٌ دائمةٌ من التَّوقِ لإيجادِ مكانٍ جديدٍ لكنَّهُ يظلُّ عصياً على التَّحقق.

وخلاصةُ القولِ يمثِّلُ المنفى بالنسبةِ لسعيدٍ "اقتلاعاً وجودياً" يفصلُ الفردَ عن جذورِهِ مما يجعلُه في حالةِ "نقدٍ دائمٍ" للثَّقافاتِ التي عاشَ بينها كما يرى في "خارج المكان" أنَّ المنفى ليسَ مجردَ ابتعادٍ جغرافي بلْ تمزّقٌ بينَ عالمين دونَ انتماءٍ كاملٍ لأيّ منهما، أمَّا كاصدٌ فينظرُ إلى المنفى "كحالةٍ إبداعيةٍ" حيثُ تصبحُ اللغةُ والشِّعرُ وطناً بديلاً يُعيدُ فيه تشكيلَ هُويته، والمنفى لا يقتصرُ عنده على فقدانِ المكانِ بل هو مساحةٌ لإعادةِ خلقِ الذَّاتِ من خلالِ الكلمات، في النِّهاية يعكسُ كلٌّ من سعيدٍ وكاصدٍ جانباً مختلفاً من تجربة "الاغتراب" فبينما الأولُ يراهُ تمزّقاً بينَ عالمين دونَ انتماءٍ لأيٍّ منهما فإنَّ الثَّاني يراهُ فرصةً لإعادةِ بناءِ الانتماءِ داخلَ فضاءِ الكتابةِ والإبداع.

٢ – تأثير البعد الثقافي واللغوي في رؤية المنفى

يُعدُّ البُعدُ الثَّقافي واللغوي عنصراً حاسماً في تشكيلِ رؤية المنفى حيثُ لا يقتصرُ أثرُه على فقدانِ المكانِ الجغرافي بلْ يمتدُّ إلى الهُويةِ والانتماء، واللغةُ ليسَتْ مجردَ وسيلةٍ للتواصلِ بلْ هي وطنٌ بديلٌ يحملُ ذاكرةَ الفردِ وثقافته، في المنفى قد يجدُ الإنسانُ نفسُه ممزقاً بينَ لغته الأم التي تربطُهُ بماضيه ولغةٍ جديدةٍ قد تفرضُها ظروفُه الجديدةُ مما يخلقُ صراعاً بينَ الانتماءِ والاغتراب، يقول سعيد "فلا أنا تمكنت من السيطرة على حياتي العربية في اللغة الانكليزية؛ ولا أنا حققت كليا في العربية ما قد توصّلت إلى تحقيقه في الانكليزية؛ هكذا طغى على كتاباتي كمّ من الانزياحات والتّغايرات والضّياع والتشوّه"[٤٨]إنَّ الخلفيةَ الثَّقافية تلعبُ دوراً في تحديدِ كيفيةِ تعاملِ المنفي مع محيطِه الجديدِ؛ فإمَّا أنْ يُصبحَ ناقداً للثَّقافاتِ التي يعيشُ فيها أو يحاولَ التَّوفيقَ بينها وبينَ جذورِه الأصلية، وهكذا يُصبح المنفى ليسَ مجردَ فقدانٍ للمكانِ بل تجربةٌ معقَّدةٌ من التَّكيفِ وإعادة تشكيل الهوية.

يُشكِّلُ البُعدُ الثَّقافي واللغوي عاملاً مُهماً في اختلافِ رؤيةِ كُلٍّ من سعيد وكاصد للمنفى فقدْ عاشَ إدوارد سعيدٌ في بيئةٍ متعدِّدةِ الثَّقافات حيثُ تلقى تعليمه في الغربِ وانخرطَ في الثَّقافةِ الإنكليزية مما جعلَهُ يرى أنَّ المنفى هو حالةٌ فكريةٌ تجعلُ المنفي ناقداً دائماً للثَّقافاتِ التي عاشَ بينها، في كتابِهِ "الاستشراق" يستخدمُ سعيدٌ خلفيتَهُ الثَّقافية ليُحلِّلَ كيفية تمثيل الشَّرقِ في الخطابِ الغربي مما يعكسُ نظرتَهُ إلى المنفى كحالةٍ فكريةٍ وليسَتْ مجردَ فقدانٍ للمكان، وإذا كان المنفى منظوراً نقديا دائماً للثقافات فإنَّ الكتابةَ عندَ إدوارد هي بمثابةِ "سجلٍ لعالمٍ مفقودٍ ومنسي ... والعديد من الأمكنة والأشخاص التي استذكرُها هُنا لم تَعدْ موجودةً على الرُّغمِ من أنّي أندهشُ باستمرارٍ لاكتشافي إلى مدى استنباطها وغالباً بأدقّ تفاصيلِها بلْ بتشخيصاتِها المروّعة"[٤٩]، وهكذا يُصبحُ المنفى لدى إدوارد سعيد أكثر من مجردِ ابتعادٍ جغرافي بلْ تجربة

ذهنية معقَّدة تجمعُ بينَ الاسترجاعِ والتَّأملِ في الهُويةِ والانتماءِ، والكتابةُ تُمثِّلُ الوطنَ البديلَ الذي يَستعيدُ من خلالِه المنفي ما فقدَهُ في شتاتِهِ إذْ إنَّها عمليةُ استرجاعٍ زمنيةٍ تُعيدُ تشكيلَ الذَّاكرةِ وتثبيتِ الهُويةِ في مواجهةِ التَّلاشي وكما يقول سعيد على لسان أدورنو:"الإنسانُ الذي لم يعدْ له وطنٌ يتخذُ من الكتابةِ وطناً يُقيمُ فيه"(٥٠). مما يجعلُ الخروجَ عن المكانِ ليسَ فقط تعبيراً عن المنفى بلْ وسيلة لإعادةِ تأكيدِ الانتماءِ وإعادةِ تشكيلِ الذَّاتِ في آنٍ واحد.

أمَّا كاصدٌ فإنَّ البعدَ الثَّقافي واللغوي يُشكِّلُ عُنصراً أساسياً في تجربته خارج المكان حيثُ لم يكنْ خروجه عن موطنه الأصلي بالنِّسبةِ له فقداناً للمكانِ الجغرافي فقط بل هو تجربة لغوية وفكرية تُعيدُ تشكيلَ الذَّات على عكسِ البعضِ الذين يتبنَّون لغاتٍ جديدةً كجزءٍ من محاولتِهم للاندماجِ، فقد ظلَّ كاصدٌ مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بلغتِه الأم التي أصبحَتْ ليسَتْ مجردَ أداة تواصلٍ فحسب بل فضاء وجودياً يُعيدُ فيه تشكيلَ هُويتِهِ المفقودةِ في المنفى، ويُظهِر كاصدٌ في أعمالِه أنَّ اللغةَ يمكنُ أنْ تكونَ وطناً بديلاً إذْ تحملُ في طياتها الذَّاكرة والانتماء والتَّاريخ الشَّخصي والجمعي مما يجعلُها أكثرَ من مجردِ أداةٍ تعبيريةٍ، يقولُ في إحدى قصائِده: "اللغةُ أرضي الأخيرةُ وحرفي ونافذتي على العالمِ" هذه الرُّؤيةُ تعكسُ إدراكَهُ العميقَ بأنَّ فقدانَ الوطنِ الجغرافي لا يعني فقدانَ القدرةِ على إعادةِ بناءِ الذَّات بلْ يمكنُ للإنسانِ أنْ يُعيدَ اكتشاف وجودِهِ من خلالِ الكلماتِ ليخلقَ عالماً موازياً يتجاوزُ فيه حدودَ المنفى.

ولم تكنْ الكتابةُ لدى كاصدٍ مجردَ وسيلة للتَّعبيرِ عن الاغترابِ بلْ كانَتْ أداةً لاستعادةِ الأمكنةِ الضَّائعةِ من خلالِ الذَّاكرةِ والشِّعر، ففي قصائدِهِ نجدُ أنَّ اللغةَ تستحضرُ المدنَ والشَّوارعَ والمنازلَ التي تركها خلفَهُ مما يُعيدُ تشكيلَ صورةِ الوطنِ داخل المنفى حيثُ يصبحُ الشِّعرُ أشبهَ بجسرٍ يصلُ بينَ الماضي والحاضر وبينَ ما فُقد وما يُعاد خلقُه عبر الكلمات، ويتعامل كاصدٌ مع اللغةِ ككيانٍ حيّ قادرٍ على احتضانِ تجربةِ المنفى وتجسيدها لكنَّهُ في الوقتِ نفسِه يُدركُ أنَّ اللغةَ لا تستطيعُ محوَ الإحساسِ الحقيقي بالاقتلاعِ وهذا التَّوترُ بينَ اللغةِ كوطنٍ بديلٍ والمنفى كواقعٍ مفروضٍ يجعلُ تجربةَ كاصدٍ اللغويةِ غنيّةً بالمفارقاتِ فهو يستخدمُ الشِّعرَ ليبني مكاناً جديداً لكنَّهُ يظلُّ واعياً بأنَّ هذا المكانَ يظلُّ رمزياً وغيرَ ملموسٍ يخفِّفُ من الغربةِ لكنَّهُ لا يمحوها تماماً، ويؤكدُ كاصدٌ أنَّ المنفى لا يقتصرُ على البُعدِ المكاني فقط بلْ يمتدُّ إلى اللغةِ ذاتِها حيث تتحوّلُ الكلماتُ إلى مساحةٍ للبقاءِ والاستمرارِ، وهكذا يصبحُ المنفى عندَهُ ليسَ مجردَ ابتعادٍ عنْ الوطنِ بلْ رحلةٌ داخلَ اللغةِ حيثُ يُعيدُ المنفي تشكيلَ ذاتِهِ من خلالِ الكلماتِ ليخلقَ وطناً لا يمكنُ نفيه أو مصادرته، ومن هنا يتجسَّدُ مفهومُ "الاغتراب" عندَ كاصدٍ في كونِه لاجئاً داخلَ اللغةِ يبحثُ بينَ الكلماتِ عن وطنٍ لا يُمحى ولا يُفقد.

وهكذا يتجلَّى مفهومُ "الاغتراب" عندَ الكاتبين بطرقٍ مختلفةٍ فهو عندَ سعيدٍ نقدٌ دائمٌ وحنينٌ لا ينتهي إلى مكانٍ مفقودٍ لا يمكنُ استعادتُهُ بينما هو عندَ كاصدٍ عمليةٌ إبداعيةٌ تُعيدُ تشكيلَ الوطنِ داخلَ اللغة،

وفي النِّهايةِ يظهرُ المنفى ليسَ فقط كفقدانٍ للمكانِ بل كتجربةٍ ثقافيةٍ ونفسيّةٍ معقّدةٍ تحوّلُ الاغترابَ إلى مساحةٍ من التَّأملِ والخلقِ المستمر.

٣ – التَّوتر بين الهُوية الفردية والجماعية

يعيشُ المنفيُ في حالةٍ من الانقطاعِ عن مجتمعِه الأصلي مما يجعلُه في مواجهةٍ دائمةٍ مع هُويتِهِ الفرديةِ والجماعية، ويمثلُ التَّوترُ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ عند إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد جانباً أساسياً من تجربتهما في المنفى إذ لطالما شكَّل المنفى تجربة معقدة لديهما لأنَّ المنفى عندهما يتأرجحُ بينَ الهُوية الشَّخصية والانتماء إلى الجماعة الثقافية أو الوطنية.

يُركِّزُ سعيدٌ على "التَّوتر بين الهُوية الفردية والجماعية" حيثُ يرى أنَّ المنفى يجعلُهُ فرداً مستقلاً لكنَّهُ في الوقتِ نفسِه يُدركُ أنَّهُ جُزءٌ من قضيةٍ أوسع وهي القضيةُ الفلسطينيةُ، و " كانَ من الطبيعي أنْ تتولَّدَ في باطنِ حياة سعيد النَّفسيةِ والوجدانيةِ مشاعر متباينة وقد تكونُ متناقضةً بسببِ تداخلِ هذه الظَّواهرِ النَّفسيةِ المتولِّدةِ عن هُويتِه الفلسطينية الأصلية التي اكتسبَها بالمولدِ وقومتيه العربية التي تجذَّرتْ فيه من خلالِ شعورِه بها لتردّدِه الدَّائم على مدنٍ عربيةٍ عظيمةَ الشَّأنِ كالقاهرةِ وبيروت في الخمسينيات والستينيات من القرنِ الماضي"[٥١]، ورغم إحساس سعيد الدَّائم بالعيشِ خارجَ المكانِ إلا أنَّ ذلك لم يكنْ عائقاً أمامَ سعيد في اختيارِهِ الواعي لهُويتِهِ العربيةِ وإعادةِ اكتشافِه لجذورِه الفلسطينيةِ خاصةً في أعقابِ هزيمة حزيران ١٩٦٧ التي شكَّلتْ نقطةَ تحولٍ في مسارِ الحركةِ الوطنيةِ الفلسطينية، لم تكنْ هُويتُه مجردَ إرثٍ مفروضٍ بلْ قراراً فكرياً وإرادياً يعكسُ وعيَهُ العميقَ بمعنى الانتماءِ، وقد تركَ هذا الشُّعورُ بالغربةِ والانفصالِ أثراً بالغاً على مسيرتِهِ الفكريةِ والأكاديميةِ مما دفعَهُ إلى تكريسِ جُزءٍ كبيرٍ من أعمالِهِ لدراسةِ قضيةِ الهُويةِ والانتماءِ ساعياً إلى تفكيكِ التَّصورات الاستشراقية وإعادةِ تعريفِ الهُويةِ العربية من منظورٍ نقدي بعيداً عن القوالبِ النَّمطيةِ المفروضةِ، لقد كانَ الانتماءُ عندَه عمليةً فكريّةً مستمرةً وليسَتْ مجردَ مُعطىً جغرافي أو عرقي، وهذا ما تجلى بوضوحٍ في كتاباتِهِ التي مزجَتْ بينَ التَّجربةِ الشَّخصيةِ والنَّقدِ الثَّقافي والسِّياسي، في كتابِه "خارج المكان" يُعبّرُ عن صراعِهِ بينَ هُويتِه الفرديةِ كمثقَّفٍ عالمي وهُويته الجماعية كشخصٍ يحملُ إرثاً فلسطينياً مما يجعلُهُ دائماً بينَ عالمين متناقضين، "فهُوَ أمريكي وهُوَ فلسطيني ثُمَّ إنَّهُ ليسَ بأمريكي ولا فلسطيني؛ إنَّها عدميةٌ محضةٌ؛ ينتمي ولا ينتمي؛ تلك هي ذات المنفي التي عاشَتْ وفقاً لتجربةِ المنفى"[٥٢]، المنفى الذي يعيشُه سعيدٌ يتجاوزُ مجردَ الحرمانِ من المكانِ ليصبحَ "تجربةَ نفي متعددةِ الأبعادِ" تشملُ نفي المكانِ ونفي اللغةِ ونفي الذَّاتِ، إنَّها معاناةٌ مزدوجةٌ تتجسّدُ في التَّناقضِ بينَ الشّعورِ الدَّائمِ بالغربةِ والصُّعوبةِ في التَّعبيرِ عن هذه الحالةِ بدقةٍ، هذه الازدواجية اللغوية والفكريةُ جعلَتْ من كتاباتِه ساحةً دائمةً للصِّراعِ بينَ الهويتين الثَّقافيتين حيثُ لم يكنْ لأيٍّ منهما السِّيادة المطلقة بلْ ظلَّ عالقًا في منطقةٍ رماديةٍ بينَ الانتماءِ والانفصالِ بينَ الذَّاكرةِ والواقعِ بينَ الأصلِ والمنفى.

أمَّا بالنِّسبةِ لكاصدٍ فيظهر التَّوترُ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ بشكلٍ أوضحَ عن سعيدٍ فالمنفى عنده ليسَ حالةً من البعدِ الجغرافي فحسب بلْ يُعدُّ أيضا حالةً ذهنيّةً تُعيدُ تشكيلَ العلاقةِ بينَ الفردِ وجماعتِهِ، ومن خلالِ قصائِدِه يعكسُ كاصدٌ ذلك التَّناقضَ بينَ محاولةِ الحفاظِ على هُويتِهِ الفردية المستقلّةِ وبينَ الشُّعورِ بالانتماءِ إلى وطنٍ أو ثقافةٍ لا يزالُ تأثيرها حيّاً فيه رُغمَ المسافاتِ، وعلى الرُّغمِ من البعدِ المكاني يظلُّ الشُّعورُ بالانتماءِ إلى الجماعةِ حاضراً في أعمالهِ غيرَ أنَّ هذا الانتماءَ لمْ يَعُدْ كما كانَ بلْ أصبحَ مُحمّلًا بالذّكرياتِ والتَّصوراتِ التي تتأرجحُ بينَ الواقعِ والمتخيَّلِ فهو لا يتعاملُ مع الهويةِ الجماعيةِ كحقيقةٍ ثابتةٍ بلْ كحالةٍ متغيّرةٍ تخضعُ لتجربةِ المنفى وتحولاته، ويرى كاصدٌ أنَّ المنفى يمنحُ المنفي حريةً فرديةً جديدة لكنَّهُ في الوقتِ نفسِه يضعُهُ في حالةٍ من التَّردِدِ بينَ الاستقلال والانتماء هذا التَّوترُ يظهرُ جلياً في كتاباتِه حيثُ نجدُ أنَّه يرفضُ القطيعةَ التَّامةَ مع ماضيه لكنَّهُ في الوقت ذاتِه يدركُ أنَّهُ لم يَعُدْ جُزءاً كاملاً من مجتمعه الأصلي، في هذا الإطارِ يتحوَّلُ الشِّعرُ عنده إلى مساحةٍ تعويضيةٍ حيثُ يخلقُ عبرَ الكلماتِ وطناً بديلاً يُعوِّضُه عن الفقدانِ المادي، ويُجسدُ كاصدٌ مفهومَ "خارج المكان" من خلالِ تصويرِه الدَّائِم لحالةِ الاغترابِ التي يعيشُها المنفيّ بينَ عالمين أحدهما مفقودٌ لكنَّهُ حاضرٌ في الذَّاكرةِ والآخرُ جديدٌ لكنَّه لا يمنحُه الشُّعورَ التَّامَ بالانتماءِ، وهكذا تُصبحُ الهُوية الفرديةُ عمليّةً مستمرّةً من إعادةِ البناءِ حيثُ يكونُ المنفيّ في حالةِ حوارٍ دائِمٍ بينَ ذاتِه وبينَ العالمِ الذي تركَهُ وراءَهُ، وهكذا يُصبحُ "الإنسانُ المنفي شاهداً على مصيرٍ مشتركٍ" وليسَ مجردَ فردٍ معزولٍ، مثال قصيدته "ما من طرف ثالث" تعكسُ بقوةٍ الصّراعَ الدّاخلي والخارجي وتعبّرُ عن حالةٍ من الاغتراب العميقِ والانفصال بينَ الواقعِ والشّعور الذّاتي، يقول:

"ما منْ طرفٍ ثالثْ
أنتمْ كلُّ الأطرافِ وجوهاً أو أقنعةً:
في زاويةِ الشارع
في آخرة الجسر
وراء السّاتر
عند المبنى
في أروقةِ العدلِ المصبوغةِ بالدّمِ
في أرديةِ الآتين إلى مجزرة الأمسِ
بأيدٍ ناعمةٍ
ووجوهٍ خضراء (ستصفرّ..)
وفي القاعة تلكَ: عمائمُ ومديرون سماسرةٌ
في هذا الطالع من حفرةِ سيّدِهِ
يتلو ما يتيسّرُ منكمْ، حلفاؤهُ أنتمْ

أعداؤه أنتمْ
أقنعةٌ ووجوهٌ
فلتتسعِ الشاشاتُ لكمْ ولهمْ
ولهذا الصوتِ الفاقعِ صوتِ الناعقِ يصرخُ مسلوبَ الأحشاء
وما منْ قابلةٍ تأتيه
وهذا الرأس الأصلع كالبيضةِ يخطبُ من مكتبه،
(ساعاتٍ وسيفقسُ..)
ما منْ طرفٍ ثالثْ
سفّاحٌ وضحيّتُهُ"(٥٣)

نُلاحظُ أنَّ التوترَ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ يتجلَّى في هذه القصيدةِ من خلالِ انعدامِ الحدودِ بينَ الجلادِ والضَّحيةِ بينَ الحلفاءِ والأعداءِ حيثُ يُظهِرُ النَّص أنَّ الجميعَ متورّطونَ في دوامةِ العنفِ سواءٌ بوجوههم الحقيقية أو بأقنعتهم فلا يوجدُ "طرفٌ ثالثٌ" محايدٌ بلْ الجميعُ شركاءُ في المشهدِ السّياسي والاجتماعي المتدهورِ وهذا ما يخلقُ فُقداناً للهويةِ المستقلّةِ ويذيبُ الفردَ داخلَ الجماعةِ المتورّطةِ في الفوضى، هذا التَّوترُ يعكسُ الإحساسَ بالاغترابِ داخلَ الجماعةِ ذاتِها حيثُ لا يمكنُ للفردِ التَّمايزُ عن الجماعةِ المتورّطةِ في العنفِ مما يجعلُه "خارجَ المكانِ" حتى وهو داخلَ وطنِه، إنَّه منفىً داخلي يجعلُ الهُويةَ الفرديّةَ ضائِعةً وسطَ صراعٍ لا مفرَ منه حيث تتلاشى الحدودُ بينَ الخيرِ والشّرِ، وبينَ الانتماءِ والاغتراب.

وبذلكَ نجدُ أنَّ التَّوترَ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ يُشكّلُ جوهرَ تجربةِ المنفى لدى إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد حيثُ يتحولُ المنفى من كونِه مجردَ ابتعادٍ عن المكانِ إلى حالةٍ وجودية معقَّدةٍ تُعيدُ تشكيلَ الهُويةِ والانتماء ، إنَّ مفهومَ "الاغتراب" لا يقتصرُ عندَ سعيدٍ وكاصدٍ على المنفى الجغرافي بلْ يمتدُّ ليشملَ المنفى النَّفسي والثَّقافي حيثُ يكونُ الإنسانُ مشتَّتاً بينَ عالمين دونَ أنْ ينتمي بشكلٍ كاملٍ لأيّ منهما ويظلُّ الفردُ في هذا التَّوترِ المستمرِ مُمزَّقاً بينَ الاستقلالِ والانتماء؛ وبينَ فقدانِ المكانِ ومحاولةِ خلقِ فضاءٍ بديلٍ ليصبحَ المنفى ليسَ مجردَ تجربةٍ مكانيةٍ بل رؤية وجودية تُعيدُ تعريفَ الإنسانِ وعلاقتِه بالمكانِ والهويةِ والجماعة.

من خلالِ الدراسة السَّابقةِ نجدُ أنَّ مفهومَ "الاغتراب" عند سعيدٍ و كاصدٍ لا يقتصرُ على كونِه تجربةً جغرافيةً بلْ يتجلَّى كحالةٍ وجوديةٍ وثقافيةٍ معقَّدةٍ تُعيدُ تشكيلَ الهُويةِ والمنفى معاً، فبينما يرى سعيدٌ أنَّ المنفى هو حالةُ تمزقٍ دائِمٍ بينَ عالمين حيثُ لا ينتمي المنفي لأيٍّ منهما بشكلٍ كاملٍ يراهُ كاصدٌ مساحةً للإبداعِ وإعادةِ تشكيلِ الذَّاتِ عبرَ اللغةِ والشِّعر كوطنٍ بديلٍ، ويشكّلُ التَّوترُ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ أحد المحاورِ الأساسيةِ في تجربةِ المنفى لديهما إذ يعيشُ الفردُ في حالةِ تفاوضٍ دائمٍ بينَ انتمائِهِ الشَّخصي

وانتمائِهِ الجماعي مما يجعلُهُ في حالةِ تحوّلٍ مستمرٍ بينَ الماضي والحاضر؛ وبينَ الوطنِ و اللاوطن، وهكذا يتجاوزُ المنفى في تجربتِهما فقدانَ المكانِ ليُصبِحَ رؤيةً ثقافيةً وفكريةً تُعيد النَّظرَ في العلاقةِ بينَ الفردِ والمجتمعِ؛ وبينَ المكانِ الحقيقي والمكانِ المتخيّلِ، فالإنسانُ المنفي وفقاً لسعيد وكاصد لا يبحثُ فقط عن العودةِ إلى الوطنِ بلْ عن إعادةِ اكتشافِ ذاته في فضاءٍ جديدٍ من اللغة والتَّجربةِ الإنسانية مما يجعلُ " المكان" ليسَ مجردَ موقعٍ جغرافي بلْ تجربة وجودية مستمرةً بين الذَّاكرةِ والضَّياعِ وبينَ الجذورِ والتيهِ الدَّائم.

خامساً: الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات والتوصيات تستخلص في مجموعةٍ من الأفكارِ والنّتائج التي تعكسُ فهماً عميقاً لتجربةِ المنفى وأثرِها على "الإنسان خارج المكان"، ويمكننا تلخيصُ للاستنتاجات والتوصيات الممكنة بناءً على البحث كما يلي:

أولاً ــ الاستنتاجات: يتجاوزُ المنفى في أعمالِ إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد كونَهُ مجردَ فقدانٍ للمكانِ الجغرافي ليُصبحَ حالةً فكريّةً وثقافية تُعيدُ تشكيلَ هُويةِ المنفي بطريقةٍ مستمرةٍ، وإذا كانَ كاصدٌ يرى أنَّ المنفى مساحةٌ جديدةٌ لإعادةِ تكوينِ الذَّات وأنَّ فقدانَ الوطنِ لا يعني الانقطاعَ التَّامَ عنه بل هو دافعٌ إلى خلقِ وطنٍ بديلٍ داخلَ اللغةِ والشعرِ، فإنَّ إدوارد سعيد الذي عاش في بيئةٍ متعددةِ الثَّقافاتِ يرى في المنفى مساحةً نقديةً تجعلهُ يعيدُ النَّظرَ في كلٍّ من الثَّقافةِ الأصليةِ والثَّقافةِ التي يعيشُ فيها، ويعكسُ مفهوم "الاغتراب" لدى الكاتبين صراعاً دائماً بينَ الهُويةِ الفردية المستقلّةِ والهُويةِ الجماعيةِ المتأثِّرةِ بالوطنِ والواقعِ الثَّقافي والسّياسي حيثُ لم يكنْ الانفصالُ عن الوطنِ انفصالاً كاملاً بلْ بقيتْ العلاقةُ معه مشحونةً بالعاطفةِ والتَّأملِ، في نهاية المطافِ لا يُنظرُ إلى المنفى على أنَّه مرحلةٌ مؤقَّتةٌ بل هو تجربةٌ مستمرةٌ ترافقُ الفردَ حتى ولو عادَ إلى وطنِه حيثُ تبقى الهُويةُ في حالةِ تحولٍ دائمٍ بينَ الحنينِ والواقعِ الجديد.

ثانياً ــ التوصيات: بنهايةِ البحثِ يُنصحُ بالتوسعِ في دراسةِ موضوعِ " الاغتراب " في تجاربَ أخرى من خلالِ إجراءِ مقارناتٍ إضافيةٍ مع كُتّابٍ آخرين عاشُوا تجربةَ المنفى مثل "محمود درويش" أو "غسان كنفاني" لفهمِ مدى تشابهِ أو اختلافِ تجربة "الإنسان المغترب" في الأدبِ العربي والعالمي، وينصحُ بالقيامِ بتحليلِ البُعدِ النَّفسي والاجتماعي للمنفى من خلالِ دراسةِ كيفَ يُؤثِّرُ المنفى على البنيةِ النَّفسيةِ والسُّلوكِ الاجتماعي للمنفيينَ وكيفَ يُعيدُ هؤلاء تشكيلَ هُوياتِهم الشَّخصيةِ في ظلِّ اغترابِهم القسري، ومن المفيدِ استكشاف كيفَ تؤثرُ ازدواجيةُ اللغةِ في تشكيلِ وعي الكاتبِ المنفي كما حدثَ مع إدوارد سعيد الذي كتبَ باللغة الإنجليزيةِ في حين بقي عبد الكريم كاصد متشبّثاً بلغتِه العربية، ويوصى بتحليلِ كيفَ تُؤثِّر العولمةُ والهجرةُ القسريّةُ الحديثةُ على مفهومِ المنفى اليوم مقارنةً بالمفهومِ التَّقليدي الذي تناولَهُ سعيد وكاصد وما إذا كانَتْ الهُويةُ الفرديةُ باتَتْ أكثرَ تعقيداً في ظلِّ العوالمِ الرَّقميةِ والافتراضيةِ، وينصح بإجراء مقارنة بينَ

"المنفى السياسي" و"المنفى الثقافي" من خلالِ البحثِ في الفرقِ بينَ تجربةِ المنفى لأسبابٍ سياسيةٍ كما عند إدوارد سعيد والمنفى كحالةٍ إبداعيةٍ وثقافيةٍ كما عند عبد الكريم كاصد مع تسليطِ الضَّوءِ على كيفيةِ تأثيرِ كلٍّ منهما في تشكيلِ هُويةِ الإنسانِ المنفي ، من خلالِ هذه التَّوصيات وغيرها نستطيعُ الكشفَ عن إمكانياتٍ أوسعَ لفهمِ المنفى كتجربةٍ إنسانيةٍ معقَّدةٍ تربطُ بينَ الجغرافيا واللغة والهوية والثقافة فالمنفى ليسَ مجردَ فقدانٍ للمكانِ بل هو حالةٌ فكريةٌ ونفسيةٌ تعيدُ تشكيلَ الفردِ والمجتمع.

هذه الاستنتاجاتُ والتَّوصياتُ يمكنُ أنْ تُساهمَ في فهمٍ أعمق لتجربةِ "الاغتراب الفكري عند المفكرين" في الأدبِ العربي وتفتحُ المجالَ لدراساتٍ أوسعَ في هذا الموضوع.

سادساً: خاتمة البحث:

في ختامِ البحثِ نجدُ أنَّ "الإغتراب في فكر ادوارد سعيد وعبد الكريم كاصد" – كما يتجلَّى في نصوصِ إدوارد سعيد وعبد الكريم كاصد– لا يقتصرُ على كونِ المنفى اغتراباً جغرافياً عن الوطن فحسب بلْ هو حالةٌ فكريةٌ ووجوديةٌ معقَّدة تُعيدُ صياغةَ هُوية المنفي ليجدَ نفسهُ عالقاً بينَ فقدانِ المكانِ والسَّعي إلى إعادةِ خلقِهِ في أشكالٍ أخرى.

وإذا كانَ إدوارد سعيد يرى أنَّ المنفى ليسَ مجردَ أنْ تكونَ خارجَ الوطنِ بلْ اقتلاعٌ جذري وشرخٌ دائمٌ بينَ عالمين متناقضين حيثُ يعيشُ المنفي على حافةِ الانتماءِ فلا هو جزءٌ كاملٌ من ثقافتهِ الأصلية ولا هو مستوعَبٌ تماماً في الثَّقافةِ الجديدةِ، فإنَّ عبد الكريم كاصد يجدُ في المنفى مساحةً لإعادةِ تكوينِ الذَّات من خلالِ اللغةِ والشِّعرِ إذ تتحولُ اللغةُ عنده من أداةِ تعبيرٍ إلى وطنٍ بديلٍ يحتضنُ المنفي ويمنحُهُ امتداداً جديداً للحياةِ فهو لا يبحثُ عن مكانٍ بديلٍ بقدرِ ما يسعى إلى إعادةِ تشكيلِ المكانِ داخلَ الكلماتِ ليخلقَ من الشِّعرِ فضاءً يعيد له إحساس الانتماء، وإذا كانَ إدوارد سعيد يرى في المنفى حالةً نقديةً دائِمةً تدفعهُ إلى مساءلةِ كلِّ ما يحيطُ به وهذا ما يجعلُ المنفى لديه مشروعاً فكرياً مفتوحاً على التَّحليلِ والتَّفكيكِ حيثُ يتحولُ الشُّعورُ بالغربةِ إلى رؤيةٍ نقديةٍ للثَّقافاتِ التي عاشَ بينها وموقفٍ لا يتوقفُ عن مساءلةِ الهويةِ والانتماءِ ، فإنَّ المنفى يصبحُ عندَ كاصدٍ ليس فقط فقداناً للمكانِ بل هو عمليةُ خلقٍ مستمرةٍ حيثُ يتمُ تجاوزُ الخروجِ عن المكانِ عبرَ استعادةِ الذَّاكرةِ في النُّصوصِ وإعادةِ تشكيلِ الوطنِ في فضاءِ اللغة.

إنَّ موضوعَ "الاغتراب الفكري"عند سعيدٍ وكاصدٍ يتجسَّدُ في التَّوترِ المستمرِ بينَ الهُويةِ الفرديةِ والجماعيةِ وبينَ الإحساسِ بالاقتلاعِ والرَّغبةِ في الانتماءِ وبينَ فقدانِ المكانِ ومحاولةِ بناءِ فضاء بديل، والمنفى عندهما ليسَ مجردَ محطةٍ مؤقَّتةٍ بلْ حالةٌ أبديةٌ من البحثِ عن المعنى والانتماءِ تتجاوزُ الحدودَ الجغرافيةَ لتُصبِحَ تجربةً نفسيّةً وثقافيّةً معقَّدةً تُعيدُ تشكيلَ رؤيةِ الفردِ للعالمِ وتمنحُهُ بُعداً آخر للوجودِ بينَ الذَّاكرةِ والغيابِ وبينَ الجذورِ والتِّيه.

الهوامش:

١- قاسم، سيزا، القارئ والنص والعلامة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،(د. ط) عام ٢٠٠٢، ص ٤٥ .

٢- سعيد، إدوارد، بتصرف ،تأملات حول المنفى، ترجمة ثائر ديب، دار الأدب، لبنان بيروت، ط ١،عام ٢٠٠٧، ص ١٢٦.

٣- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤، ص ٩٤٣.

٤- بتصرف ، سعيد ، إدوارد ، تأملات حول المنفى،

٥- بيل أشكروفت (Bill Ashcroft):هو أستاذ في الأدب الإنجليزي والكتابة الإبداعية ومعروف بعمله في دراسات ما بعد الاستعمار، شارك في كتابة العديد من الأعمال الأساسية التي تبحث في تأثير الاستعمار على الثقافة والأدب، مثل كتاب الإمبراطورية تكتب مرة أخرى The Empire Writes Back.

٦- بيل أشكروفت، وجاريث جريفث، وهيلين تيفين، المفاهيم في مرحلة مابعد الاستعمار، دراسات رئيسية، روتليدج، لندن، ١٩٩٨، ص٩٢.

٧- إدوارد سعيد:هو مفكر وناقد أدبي فلسطيني- أمريكي وُلد في القدس عام١٩٣٥ وتوفي في نيويورك عام ٢٠٠٣، يُعتبر واحداً من أبرز المفكرين في القرن العشرين، اشتهر بعمله في مجال النقد الأدبي، من أشهر أعماله كتاب "الاستشراق" (Orientalism) الصادر عام ١٩٧٨ .

٨- سعيد، إدوارد، تأملات حول المنفى، ترجمة ثائر ديب، دار الأدب، لبنان بيروت، ط ١،عام ٢٠٠٧، ص ١٢٦.

٩- محمود درويش (١٩٤١- ٢٠٠٨): شاعر عربي فلسطيني، اشتهر بأشعاره التي تعبير عن الحب والمنفى والهوية الفلسطينية من أعماله "أحبك أكثر" و "جدارية".

١٠- درويش، محمود، الأعمال الجديدة الكاملة ٢، في حضرة الغياب، الأهلية للنشر والتوزيع ومؤسسة محمود درويش ودار الناشر، ٢٠١٤، ص٣٨٤ .

١١- حسن، وائل، السرديات المهاجرة الاستشراق والترجمة الثقافية في الأدب، دار نشر جامعة أكسفورد، المملكة المتحدة، عام٢٠١١.

١٢- السكيس، كمال، ادوارد سعيد وشظايا الهوية أو حين تكون الهوية خارج المكان، الحوار المتمدن، العدد ٧٩٣٦ تاريخ ٢٠٢٤/٣/٤

١٣- خليل، سعاد، مفهوم المكان في الإبداع الأدبي، صحيفة رأي اليوم، ٢٠٢١/٦/١٢ .

* -ميشال فوكو (بالفرنسية Michel Foucault) ١٩٢٦ - ١٩٨٤: فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين.

١٤- سعيد، جلال الدين، معجم مصطلحات الفلسفة، دار الجنوب للنشر، فلسطين، عام ٢٠٠٤، ص٤٩٤

١٥- زغو، محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر،م٢ (ع٢)، ٢٠١٠، ص٩٣ .
١٦- د. بن بغداد، أحمد، ثنائية اللغة والهوية في أدب المنفى، جامعة تيسمسيلت، مجلة المعيار، المجلد ١٣ العدد ١جوان ٢٠٢٢، ص٧٤٧ .
١٧- أبو القاسم الككلي، عمر، الهوية بين الثبات والحركة، بوابة الشرق الأوسط، الأحد ٢٨ نوفمبر ٢٠٢
١٨- مكاحليّة، صورية، قلق الهوية في خطاب ادوارد سعيد – خارج المكان وتأملات حول المنفى، مجلة أفاق علمية، المجلد ١١ العدد ١ لسنة ٢٠١٩، ص ٥٢٩.
١٩- هارلميس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط ١، ٢٠١٠ ، ص ٩٧.
٢٠- مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، ٢٠١٣، ص ١٨٨ .
٢١- كريمة بن قومار، وعلوط الباتلول، الهوية من الفردي إلى الجماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، تاريخ ٢٠١٨/٦/١٧ ، ص١٦٨.
٢٢- ولد خليفة، محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، عام ٢٠٠٣، ص ١١٠
٢٣- بيتر بيرغر، و توماس لوكمان، البناء الاجتماعي للواقع، أرماند كولين، باريس، عام ١٩٨٦، ص١٨٤.
٢٤- سعيد، ادوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، لبنان، دار الآداب، ص٩٦.
٢٥- هشام، بلال، المنفى المفتوح.. تشكيل الهوية في عالم الشتات، موقع ميغازين، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٤.
٢٦- سعيد ، ادوارد ، الثقافة والامبريالية ، ترجمة : كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية،١٩٩٨، ص ٧١.
٢٧- سعيد، إدوارد، خارج المكان، ترجمة فواز طرابلسي، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠، ص٢٨٤ و٢٨٥ .
٢٨- غليون، برهان، إدوارد سعيد المنفى والحرية، موقع برهان غليون، بيروت لبنان، ٣٠/ ٩ / ٢٠٠٣.
٢٩- سعيد،ادوارد، منفى في الوطن، عن تجربة ادوارد سعيد خارج المكان، تر:قسم الدراسات والترجمة، مجلة ميغازين الثقافية
٣٠- سعيد، إدوارد، صور المثقّف، ترجمة غسان غصن، دار النهار للطباعة والنشر، بيروت لبنان، عام ١٩٩٦ ، ص ٧٠ .
٣١- سعيد، إدوارد، تأملات في المنفى، مرجع سابق ، ص ١٢٢.
٣٢- سعيد، إدوارد، خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢١٧ .
٣٣- سعيد، إدوارد، صور المثقف، مرجع سابق، ص ٧٢ .

٣٤- سعيد،ادوارد، تأملات في المنفى، تر:ثائر ديب،دار الاداب، بيروت،ص٦٨، ٢٠٠٤.
٣٥- سعيد، إدوارد، تأملات حول المنفى، مرجع سابق، ص١٢٣ .
٣٦- عبد المجيد، عاطف، عبد الكريم كاصد ما أكثر الترجمات البليدة في الشعر، مجلة الدوحة، العدد ٤٢٨، عام٢٠٢٠ .
٣٧- كاصد، عبد الكريم، منفى ومهاجر، لندن للطباعة والنشر، لندن، الطبعة الأولى، لسنة ٢٠٢١، ص ١٥ .
٣٨- كاصد، عبد الكريم، منفى ومهاجر، مرجع سابق، ص٧ .
٣٩- كاصد، عبد الكريم ، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، دار أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط١ ، عام ٢٠٢١، ص١٥٥ .
٤٠- كاصد، عبد الكريم، منفى ومهاجر، مرجع سابق، ص٢٢ .
٤١- كاصد، عبد الكريم، أيهما الوطن أيهما المنفى ، دار تموز، دمشق سوريا، عام ٢٠١٣، ص٧٤ .
٤٢- كاصد، عبد الكريم، منفى ومهاجر، مرجع سابق، ص ٨٤-٨٥ .
٤٣- د .فيصل حصيد، أ.عبد القادر نويوة ، ارتياب الكتابة بين حتمية المنفى وسردية الانتماء إدوارد سعيد في خارج المكان، كلية الآداب واللغات جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر، حزيران ٢٠١٥ ، ص١١ .
٤٤- ماجدولين، شرف الدين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٢، ص١١٣ .
٤٥- سعيد، إدوارد، تأملات حول المنفى، مرجع سابق، ص١١٧ .
٤٦- سعيد، إدوارد، خارج المكان، مرجع سابق، ص٢٢ .
٤٧- شاهين، محمد، إدوارد سعيد رواية الأجيال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥، ص١٩ .
٤٨- كاصد، عبد الكريم ، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، ديوان زهيريات ، مرجع سابق، ص ١١٥ .
٤٩- روز، جاكلين، إدوارد سعيد يتحدث مع جاكلين روز، ترجمة: محمد بن زيدان، مجلة بصمات، العدد٢، دار القرويين، المغرب الدار البيضاء، عام ٢٠٠٧، ص١٥٩ .
٥٠- سعيد، إدوارد، خارج المكان، مرجع سابق، ص ١٩.
٥١- سعيد، إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عاني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط١، عام ٢٠٠٦ ، ص ١٠٨ .
٥٢- حمير، د. حسين، الهوية والمقاومة الثقافية عند إدوارد سعيد، مجلة مداد الأدب، عدد خاص بالمؤتمرات ٢٠١٨ – ٢٠١٩ ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان الجزائر، ص ١٠٩٥ .

٥٣- مكاحليّة، صورية، قلق الهوية في خطاب ادوارد سعيد- خارج المكان وتأملات حول المنفى، مرجع سابق، ص ٥٢٧ .

المراجع:

١) أبو القاسم الككلي، عمر، الهوية بين الثبات والحركة، بوابة الشرق الأوسط، الأحد ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١.

٢) بيل أشكروفت، وجاريث جريفث، وهيلين تيفين، المفاهيم في مرحلة ما بعد الاستعمار، دراسات رئيسية، روتليدج، لندن، ١٩٩٨.

٣) حسن، وائل، السرديات المهاجرة الاستشراق والترجمة الثقافية في الأدب، دار نشر جامعة أكسفورد، المملكة المتحدة، عام ٢٠١١.

٤) حمير، د.حسين، الهوية والمقاومة الثقافية عند إدوارد سعيد، مجلة مداد الأدب، عدد خاص بالمؤتمرات ٢٠١٨ – ٢٠١٩، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان الجزائر.

٥) خليل، سعاد، مفهوم المكان في الإبداع الأدبي، صحيفة رأي اليوم، ٢٠٢١/٦/١٢.

٦) درويش، محمود، الأعمال الجديدة الكاملة ٢، في حضرة الغياب، الأهلية للنشر والتوزيع ومؤسسة محمود درويش ودار الناشر، ٢٠١٤ .

٧) د. بن بغداد، أحمد، ثنائية اللغة والهوية في أدب المنفى، جامعة تيسمسيلت، مجلة المعيار، المجلد ١٣ العدد ١جوان ٢٠٢٢.

٨) د.فيصل حصيد، أ.عبد القادر نويوة ، ارتياب الكتابة بين حتمية المنفى وسردية الانتماء إدوارد سعيد في خارج المكان، كلية الآداب واللغات جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر، حزيران ٢٠١٥.

٩) روز، جاكلين ، إدوارد سعيد يتحدث مع جاكلين روز، ترجمة: محمد بن زيدان، مجلة بصمات، العدد٢، دار القرويين ، المغرب الدار البيضاء، عام ٢٠٠٧، ص١٥٩ .

١٠) زغو، محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م٢ (ع٢)، ٢٠١٠.

١١) سعيد، ادوارد، الثقافة والامبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.

١٢) سعيد، إدوارد، تأملات حول المنفى، ترجمة ثائر ديب، دار الأدب، لبنان بيروت، ط١، عام ٢٠٠٧.

١٣) سعيد، إدوارد، خارج المكان، ترجمة: فواز طرابلسي، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، عام ٢٠٠٠.

١٤) سعيد، إدوارد، صور المثقّف، ترجمة: غسان غصن، دار النهار للطباعة والنشر، بيروت لبنان، عام ١٩٩٦.

١٥) سعيد، إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عاني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط١، عام ٢٠٠٦.

١٦) سعيد، جلال الدين، معجم مصطلحات الفلسفة، دار الجنوب للنشر، فلسطين، عام ٢٠٠٤.

١٧) السكيس، كمال، ادوارد سعيد وشظايا الهوية أو حين تكون الهوية خارج المكان، الحوار المتمدن، العدد ٧٩٣٦ تاريخ ٢٠٢٤/٣/٤ .
١٨) شاهين، محمد، إدوارد سعيد رواية الأجيال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥ .
١٩) عبد المجيد، عاطف، عبد الكريم كاصد ما أكثر الترجمات البليدة في الشعر، مجلة الدوحة، العدد ٤٢٨، عام٢٠٢٠.
٢٠) غليون، برهان، إدوارد سعيد المنفى والحرية، موقع برهان غليون، بيروت لبنان،٣٠/٩/ ٢٠٠٣.
٢١) قاسم، سيزا، القارئ والنص والعلامة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د. ط) عام ٢٠٠٢ .
٢٢) كاصد، عبد الكريم، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، دار أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، عام ٢٠٢١.
٢٣) كاصد، عبد الكريم، أيهما الوطن أيهما المنفى، دار تموز، دمشق سوريا، عام ٢٠١٣.
٢٤) كاصد، عبد الكريم، منفى ومهاجر، لندن للطباعة والنشر، لندن، الطبعة الأولى، لسنة٢٠٢١.
٢٥) ماجدولين، شرف الدين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٢.
٢٦) كريمة بن قومار، علوط الباتلول، الهوية من الفردي إلى الجماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، تاريخ١٧/٦/٢٠١٨ .
٢٧) مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، عام ٢٠١٣، ص١٨٨.
٢٨) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية الطبعة الرابعة،١٤٢٥ / ٢٠٠٤.
٢٩) مكاحليّة، صورية، قلق الهوية في خطاب ادوارد سعيد – خارج المكان وتأملات حول المنفى، مجلة أفاق علمية، المجلد ١١ العدد ١ لسنة٢٠١٩.
٣٠) هشام، بلال، المنفى المفتوح.. تشكيل الهوية في عالم الشتات، موقع ميغازين، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٤.
٣١) ولد خليفة، محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، عام ٢٠٠٣ .